خطوات نحو القمة

الكتـــاب	خطوات نحو القمة، طريقك إلى التميز والانطلاق/ ناهد إسماعيل الديب
المؤلـــف	الديب، ناهد إسماعيل
النـــوع	مقالات ومحاضرات
تصميم الغلاف	جيهان متولي
إخراج داخلي	بثينة فرج
الطبعـــة	الأولى/ القاهرة ٢٠١١
عدد الصفحات	٨٨ صفحة
المقـــاس	١٤×٢٠
تدمـــك	
	١- النجاح الشخصي -- مقالات ومحاضرات

صرح للنشر والتوزيع



فكر يصنع حضارة

المدير العام: عبود مصطفى عبود

كورنيش المعادي، بجوار مستشفى السلام الدولي، أبراج المهندسين (أ) برج (٢) الدور العاشر.

ت: (٢٥٢٤٠١٦٦)(٢+)

البريد الإليكتروني	darsarh@gmail.com
الموقع الإليكتروني	www.dar-sarh.com
رقـم الإيـداع	٢٠١١/٢٦٦٧
الترقيـم الدولـي	978-977-6382-66-4

ديوي ١٣١,٣٠٤

خطوات نحو القمة

(طريقك إلى التميز والانطلاق)

دكتـــــورة

ناهد إسماعيل الديب

مدرس مساعد ـ جامعة القاهرة



من أنت

من الناس من هو كالزجاج يستقبل الشعاع فيمر منه كما هو شعاعًا، ومنهم من هو كالصفيح يقع عليه شعاع النور فيموت على صفحته، ومنهم من هو كفصِّ الماس يستقبل الشعاع فيعكسه ألفًا، وهذا الصنف الأخير هم أهل القمة وعلاة الهمة الذين نتحدث عنهم في هذا الكتاب..

فأيُّهم -عزيزي القارئ- تحب أن تكون؟!!

إننا جميعا بدأنا نفس البداية، بصرخة صرخناها حين جئنا من أرحام أمهاتنا، واستقبلنا بها هذه الحياة، ولكن بين البداية والنهاية يكمن السر، ويكمن المعنى الحقيقي من وراء الوجود.

وبناءً على الطريق الذي يسلكه كل منا، وعلى ما حققنا في رحلة الحياة من إنجازات تختلف النهايات، وقد تكون النهاية للبعض بمثابة بداية جديدة يسطّرها التاريخ في كتاب الخالدين.

إن كونك اشتريت هذا الكتاب -عزيزي القارئ- هو دليل على أنك تسعى إلى الوصول إلى القمة، وتنشدها، أو لعلك واحد من أهلها وتسعى لتدعيمها والحفاظ عليها، وهذا يعني أنك على الطريق الصحيح..

لكن بداية، دعنا نعرف من أنت عن طريق الاستقصاء التالي، فمن فضلك احضر ورقة وقلمًا.. وأجب بهدوء عن هذه الأسئلة:

س:- هل أنت سعيد؟

س:- هل من عاداتك الجلوس، والتحدث إلى نفسك؟

س:- متى جلست مع نفسك آخر مرة؟

س:- ما أهم شيء قمت به في العام الماضي؟

س:- ما هدفك الذي تتمنى تحقيقه خلال هذا العام؟

س:- ما أهم إنجازاتك التي حققتها على مدار حياتك الماضية وحتى الآن؟

س:- متى كانت آخر مرة قرأت فيها كتابًا؟

س:- هل تُكافئ نفسك إذا فعلت شيئًا جيّدًا؟ وهل تعاقبها إذا قصّرت في شيء؟

س :-هل تحب نفسك؟

س:- هل تكتب مذكّراتك، أو تقوم بتدوين بعض الأحداث الهامة في حياتك؟

س:- هل تتأثّر بسهولة بأقوال الآخرين عنك ورأيهم فيك؟

س:- هل ترى أن بإمكانك أن تكون شخصًا متميّزًا؟

اكتشف نفسك

عزيزي القارئ

إن النفس البشريّة هي أعظم ما خلق الله -عز وجل- وسوّى بيده وجعل الإنسان خليفته في أرضه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة: ٣٠).

وكان لابد أن يسخر الله -عز وجل- كل شيء لهذا الخليفة؛ فسخر له الشمس، والقمر، والجبال، والشجر، والدواب، وكل ما في الكون، ثم أمدّ الله هذه النفس البشرية بإمكانات هائلة، وقدرات خارقة لتكتمل منظومة الموارد التي يجب أن تتوافر للخليفة الموكل بعمارة الأرض، فالخليفة ينبغي ألّا يكون عاجزًا، أو قاصرًا، أو فقيرًا في الموارد.

وليس أدلّ على إمكانيات النفس البشرية، وقدراتها الخارقة من استطاعتها غزو الفضاء، والتحليق فوق السحاب، والغوص في أعماق البحار، بل بلغ بالإنسان أنه استطاع أن يمشي على الماء، ويأكل الزجاج، ويمضغ الجمر الملتهب، وبلغت قدرته أنه استطاع التحكّم في درجة حرارة جسده حتى أن رجلًا صينيًا دخل ثلاجة درجة الحرارة فيها صفر، وظل بها يومًا كاملًا، ثم خرج منها بعد ٢٤ ساعة وهو يتصبب عرقًا.

أيضًا جاء في موسوعة الأرقام القياسية أن رجلًا كان يتنزّه في إحدى الغابات حيث هجم عليه ثعبان ضخم جدًّا فما كان من الرجل من شدة فزعه إلا أن أطلق رجليه للجري فظل يجري ويجري، ولم يفق ويتوقف إلا بعد أن جرى ١٤٠ ميلًا؛ أي مسافة ما بين القاهرة والإسكندرية.

أيضا يذكر أحد العلماء أنه استطاع أن يستعيد شعر رأسه الذي تساقط بالكلية عن طريق جلسة تأمّل كان يجلسها مع نفسه يوميًّا، ولا يفعل فيها سوى أنه يقوم بالتركيز الشديد، ويعطي أمرًا ذهنيًّا إلى فروة رأسه لتنبت الشعر من جديد، وتعيد إحياء بصيلات الشعر مرّة أخرى حتى استطاع أن يعيد إنبات شعره دون استعمال أي شيء إلا إحياء هذه القدرة الخارقة الكامنة في نفسه.

والعالم اليوم يتّجه إلى ما يسمى (الطب التماثلي)؛ ففي عام ١٧٩٦م اكتشف الطبيب الألماني «سامويل هانيمان» طريقة مختلفة لشفاء المرضى وأطلق عليها (الطب التماثلي) (Homeopathy) وتتمثّل في تحفيز جهاز المناعة لدى الإنسان، وهو علميٌّ وفعّال يساعد النزعة الطبيعية للجسم البشري على مداولة نفسه، ويدرك هذا النظام أن كل أعراض

المرض ما هي إلا تعبيرات عن تنافرات واختلافات داخل الإنسان ككل، وأن المريض هو الذي يحتاج إلى علاج وليس المرض.

هذه الأفكار ربما تكون جديدة عليك عزيزي القارئ، لكن (الطب التماثلي) مُؤسَّسٌ منذ أكثر من مائتي عام، ويرى العديد من أطبّاء العالم أنه سيكون الطب الفعّال في المستقبل.

قصة

حينما فتح «عمرو بن العاص» رضي الله عنه مصر كانت للمصريين عادة غريبة وهي أنهم في كل عام يختارون فتاة من فتيات مصر في مقتبل عمرها تكون بكرًا لم يسبق لها الزواج، ويزينونها بأجمل الزينة، ويعطّرونها بأجمل العطور، ويلقون بها في النيل لتكون عروسًا للنيل، ويؤمنون أنهم إن لم يفعلوا ذلك، ويهدون للنيل عروسًا في كل عام فإنه سوف يحرمهم من فيضانه الذي يعتمدون عليه في ري أراضيهم، وإنماء محاصيلهم، وحينما علم «عمرو بن العاص» رضي الله عنه ذلك، وحان موعد هذه المراسم السنوية؛ منعهم من فعل ذلك، وقال لهم إن هذه عادة فرعونيه جاهلية، ولا ينبغي لهم قتل نفس بغير حقّ، وإن الإسلام يهدم ما قبله، وبالفعل لم يقوموا في عام فتح مصر بهذه المراسم النيلية، ولكن حدث شيءٌ عجيبٌ هو أن النيل بالفعل لم يفض ذلك العام، وكادت

مصر كلّها تعاني جفافًا شديدًا، وكاد المصريون يفتنون في دين الإسلام الذي اعتنقوه حديثًا، ويرتّدوا عنه، وأصاب الناس ضجرٌ شديد من هؤلاء المسلمين القادمين، ففكّر عمرو بن العاص في هذه الحادثة العجيبة ثم كتب إلى الخليفة «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه يخبره بالأمر، فما كان من الفاروق «عمر» إلا أن بعث إلى «عمرو بن العاص» رسالة، وأمره أن يلقي بهذه الرسالة في ماء النيل، فقد كانت هذه الرسالة بالفعل رسالة إلى النيل وجاء فيها:

«من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد: فإن كنت تجري من قِبَلك فلا تجرِ، وإن كان الله الواحد القهّار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهّار أن يجريك».

فألقى «عمرو بن العاص» البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم، وقد تهيّأ أهل مصر للجلاء والخروج؛ لأنه لا تقوم مصلحتهم فيها إلا بالنيل؛ فلما ألقى البطاقة أصبحوا وقد أجراه الله ست عشرة ذراعًا في ليلة واحدة، فقطع الله بتلك السُّنَّة السوء عن أهل مصر إلى اليوم.

الفرق بين الإنسان والحيوان

يؤسفني كثيرًا أنه مازال هناك الكثيرون لاسيما في بلادنا العربية يظنّون أن الفرق بين الإنسان والحيوان أن الإنسان له عقل، والحيوان ليس له عقل، أو أن الإنسان كائن مفكّر، والحيوان كائن غير مفكّر، ولقد ثبت بالدليل العلمي أن هذا الفرق خطأ فادح؛ لأن الحيوان له عقل كما أنه كائن مفكّر، وقال البعض إن الفرق بين الإنسان والحيوان أن الإنسان كائن مريد، أما الحيوان فليست له إرادة، وهذا أيضًا خطأ لأن الحيوان أيضًا كائن مريد له إرادة، وعزيمة، وهمة لعمل ما يريده، والدليل على ذلك القصة التالية:

قصة

كان هناك أسدان يسكنان إحدى الغابات في جنوب أفريقيا، وكانت هناك قرية بجانب هذه الغابة، وكان أهل القرية يخشون الاقتراب من الغابة بسبب هذين الأسدين لأنها مخيفان، ويثير صوت زئيرهما الرعب في أهالي القرية لكنهما لم يكونا ليتعديا حدود الغابة، ولا ليهاجما سكان القرية، حتى جاء بعض الأجانب لإقامة خطٍ لسكة حديد يربط القرية بمجموعة من قرى جنوب أفريقيا بعضها ببعض، ولكنهم حين علموا بوجود الأسدين فكّروا في مهاجمة الغابة، وقتل

الأسدين، ولكن أهل القرية حذّروهم كثيرًا من عاقبة ذلك، خاصة أن الأسدين لم يفكّرا في مهاجمة القرية، أو سكّانها، وأن الجميع يعيشون في سلام، فاقتنع جميع الأجانب، وقرروا أن يعملوا على المشروع الذي جاءوا من أجله، وأن يتركوا الأسدين إلا واحدًا منهم لم يقتنع بذلك، وكان قنّاصًا ماهرًا، فقرر أن يقتل الأسدين، وبالفعل أخذ بندقيته، واعتلى ربوة عالية في الغابة



وفوجئ أن الأسدين لهما شبل صغير فتحيّن الفرصة لقتل الجميع، وأطلق النار، لكن الأبوين فرّا، ولم يستطع غير إصابة الشبل بطلقة صائبة في رأسه، فأخذ يزأر حتى انقطع صوته ومات، ورجع القناص متباهيًا بما فعل، وقال لأهل القرية لقد فعلت ما جبْنتم أنتم عن فعله كل هذه السنوات الماضية، ولن أهدأ حتى أقتل هذين الأسدين كما قتلت شبلهما، ولكنه لم يكن يدري أنه بذلك قد أشعل حربًا لا هوادة فيها، وأنه أثار ثائرة الأبوين للانتقام لشبلهما الصغير؛ والعجيب أن هذين الأسدين وضعا خطة محكمة للانتقام تثبت أن الحيوان له عقل، وأنه كائن مفكر.

واقتضت الخطة أن يهاجما القرية ليلًا، وأن يدخلا المعسكر الذي ينام فيه القاتل، وبالفعل ما أن أرخى الليل سدوله، ونام الجميع حتى شنّ الأسدان هجومهما على المعسكر، ودخلا إلى غرفة قاتل شبلهما الذي تعرّفا عليه بحاسة الشم، وسحباه من رجليه، وأخرجاه من المعسكر ومن القرية كلها إلى حدود الغابة على مرأى، ومسمع من أهل القرية جميعًا، والذين لم يجرؤ أحد منهم على الإطلاق على صد هذا الهجوم التكتيكي من هذين الأسدين الغاضبين، وفي الصباح وجد أهل القرية هذا القناص ممزقا بشكل احترافي ينمّ عن الرغبة في الثأر لا في الأكل فقد شوّه الأسدان وجهه، ومزّقاه إربًا إربًا دون أن يأكلا منه شيئًا، وكأنهما عافا أن يدخل جوفهما لحم قاتل شبلهما، ولم تنته القصة عند هذا الحد فدائرة الانتقام لم تفرغ حلقاتها بعد، ولم تهدأ بعد ثورة الثأر لهذين الأبوين بل قررا ألّا يبقى واحد من هؤلاء الأجانب القادمين من أجل المشروع، وقرر الأسدان إلغاء المشروع فورًا، ووقف بناء خط السكة الحديد الذي جاء من أجله هؤلاء القتلة السفّاحين -كما هم في نظر الأسدين-، فبدأ الأسدان سلسلة من الهجمات المتتالية على كل الأماكن التي ينام فيها العمال بغرض بث الهلع، ونشر الذعر بينهم، ونجحت الخطة، وفرّ جميع العمّال، وتركوا المكان دون أن يستأذنوا من

هـؤلاء الأجانـب الـذين كـانوا يغـرونهم بـالأجر الكبـير، ولم يـستطع الأجانب الوافدون إكمال المشروع الذي جاءوا من أجله بعد فرار العمال كما أن الهلع، والرعب الذي انتشر بين أهالي القريـة أثـار حفيظتهم تجاه هؤلاء الأجانب الذين أفسدوا عليهم حياتهم، وسلامهم فطلبوا منهم الرحيل، وبالفعل اضطر الأجانب أن يرحلوا ويغـادروا المشروع الـذي جاءوا من أجله كل هذه المسافة، ولـيس ذلـك إلا لأن هـذين الأسـدين أرادوا ذلك، أي أرادوا أن يرحل هؤلاء الأجانـب، وأن يتركـوا القريـة، وأن يُلغى المشروع، وهـو مـا يـدل عـلى أن الحيـوان كـائن مريـد؛ أي لـه إرادة، وعزيمـة عـلى فعـل مـا يريـد كـما أن لـه عقـلًا يفكـر، ويخطـط.. فسبحان الخالق العظيم الذي خلق فسوّى، والذي قدّر فهدى.

إذن، مـا زال الـسؤال عـن الفـرق بـين الإنـسان والحيـوان قـائمًا، والإجابـة هـي أن هنـاك فرقًا جوهريًـا بـين الإنـسان والحيـوان، وأيـضًا الإنسان وأي كائن آخر على وجه هذه البسيطة، وهـذا الفـرق نفـسه هـو الذي جعل الاختيار يقع على هذا الإنسان ليكـون خليفـة الله في أرضـه، مسؤول عن عمارتها، ومكلّف بإدارتها، ذلك الفرق يتمثّل في قـدرة هـذا الإنسان على إحداث التغيير، وخلق فارق حتى ولو غادر هـذا الإنـسان هذه الأرض يمتد التأثير بعد موته؛ أما أي كـائن آخـر فـلا يحـدث موتـه فارقًـا، ولا يـشعر بـه أحـد، ولا يـترك أثـرًا، ولا يخلـف وراءه شـيئًا

للآخرين، ولا يحدث فقده تأثيرًا على خارطة الحياة، وذلك لأن الإنسان وحده دون سائر المخلوقات -كما قلنا، ونؤكّد- هو القادر على إحداث التغيير، وعلى إضافة شيء جديد في الحياة، وعلى ترك بصمته أينما حلّ، وهذا هو المغزى الحقيقي من خلق الإنسان.

هَبْ أن حيوانًا يعيش في مكانٍ ما مليء بكل ما يحتاج إليه من طعام، ولكن النهر الذي يشرب منه بعيدٌ عنه، ويحتاج إلى أن يمشي إليه لمدة ساعة في كل يوم بعد أن يفرغ من طعامه؛ ماذا سيفعل هذا الحيوان إلا أن يظل العمر يمشي كل يوم لمدة ساعة إلى النهر حتى يشرب؟! أو أن يظهر له مكان آخر ربما يجمع بين الطعام والشراب، السؤال هنا هو هل يستطيع هذا الحيوان أن يحدث تغييرًا جغرافيًّا في هذا المكان ليريح نفسه من هذا العناء كأن يشقّ قناة، أو جدولًا صغيرًا بين النهر وموضع الطعام؟ بالطبع لا؛ فالإنسان وحده هو القادر على إحداث هذا التغيير.

إذا كان هذا هو الفرق الجوهري بين الإنسان والحيوان، بل الإنسان وسائر المخلوقات؛ فكيف يكون إنسانًا ذلك الذي لا يؤثّر فقده في الحياة، ولا يترك وراءه أثرًا يُذكر؟! وكيف يكون إنسانًا ذلك الذي قضى عمره ولم يفعل شيئًا غير أنه يأكل، ويشرب، وينام، ويطعم من يعول؟! إن الحيوان يفعل ذلك أيضًا!! أليسوا أمثال هؤلاء هم الأحياء الأموات؟! أو على الأقل ليسوا هؤلاء هم من تنهض بهم الأمم، وتعمر بهم الأرض، وتتحقق بهم الأحلام، وتعقد عليهم الآمال.

- فلتسأل نفسك -عزيزي القارئ- هذه الأسئلة:

س:- أين موقعي في الحياة؟

س:- أين موقعي من كوكب الأرض الذي أعيش فيه؟

س:- ما دوري في صناعة الأحداث من حولي؟ أو على الأقل إن لم أكن صانعًا للأحداث، فما دوري في تحريك الأحداث من حولي؟

س:- ما مجموعة الفوائد التي أقدمها لمن حولي؟

س:- ما محصلة الساعات، والأيام، والشهور، والسنين التي عشتها حتى الآن؟

س:- هل سأكمل حياتي القادمة بنفس الطريقة التي كنت أعيشها في الماضي؟

قصة

ولد الأستاذ عاديًا، في يوم عاديٍّ من أب عاديٍّ، وأم عادية، ونشأ نشأة عادية في بيئة عادية، ودخل مدرسة عادية، وتخرّج بمجموع عاديٍّ، ودخل كلية عادية، وتخرج بتقدير عاديٍّ، والتحق بوظيفة عادية، بمرتب عاديٍّ، وتزوج زوجة عادية، وأنجب أطفالًا عاديين، ورباهم تربية عادية، وعاش عيشة عادية، ومات ميتة عادية؛ فوجدوا مكتوبًا على قبره بعد موته. (**مات قبل أن يولد**)

وقفة

قال «الرافعي» ﵀: «إذا لم تزد شيئًا على الدنيا كنت زائدًا فيها».

لا تجزع فالتغيير ممكن

عزيزي القارئ

بعد أن جلست مع نفسك جلسة صدق، وعرفت أين أنت من خارطة الحياة فمهما كانت النتيجة فلا تجزع، فإن بإمكانك أن تتغيّر، وأن تكون واحدًا من أهل القمة ومن محرّكي الأحداث، بل ومن صانعي الأحداث من حولك؛ إن التغيير إلى الأفضل ممكن، وليس أمرًا مستحيلًا فأنت ما زلت حيًّا وموجودًا على خارطة الحياة، فبإمكانك إحداث فارق.

يقول «**بلاتو**» عالم النفس الشهير:

«**في البحث عن المعنى يغوص الإنسان أعمق المحيطات، ويتسلّق أعلى الجبال، ولولا وجود معنى لانتهت الأحلام، ولولا وجود الأحلام لانتهى الإنسان**».

فما حلمك عزيزي القارئ؟! وكيف ترى طريقة تحقيقه؟! وهل **ستسعى جاهدًا لتحقيقه**؟!

إنني في هذا الكتاب أضع بين يديك طريقة سحريّة لتصل بها إلى قمة أحلامك مهما بلغت، فقط عليك بالعزم، والصبر، والتصميم مهما كان الثمن الذي ستدفعه، وستصل -بإذن الله- إلى تحقيق أحلامك،

وأهـدافك، وطموحاتـك في الحيـاة، ومـن ثَـمّ ستـشعر بمتعـة الحيـاة، ومعناها الذي فقدته في كسلك، وخمولك، وهمّتك الضعيفة.

ومـن لا يحب صعـــود الجبال   يعـش أبـد الـدهـر بين الحفـر

وقيل أيضًا:-

ومـا نيـل المطالـب بالتمنـي   ولكـن تؤخـذ الدنيـا غلابـا

وتذكّر جيدًا المقولـة التي تقـول «**كـل شيء يمكـن أن يكـون شيئًا آخر بعد قليل**»، وهذا يؤكّد أن التغير سنه كونية، وأنه مستمر في الزمن، وأنه كما قـال أينشتاين: «**التغـير هـو الثابـت الوحيـد في الكـون**»، ولكـن يبقى السؤال الهام، وهو **كيف نحول الأمنية إلى هدف**؟

فجميعنا يحلم.. وجميعنا يتمنى، ولكن كيف نحول هـذه الأحـلام وهذه الأماني إلى هدفٍ واضحٍ، ومن ثَـمَّ حقيقـة ملموسـة، **يقـول المثـل الأوربي**: «**من حقك أن تحلم، ولكن أخبرني متى تتحـرّك ليـصبح الحلـم حقيقة، وإلا فلتعش في الأحلام**» وللإجابة على هذا السؤال هناك خمس خطوات رئيسة:

١ - تحديد ما تريد بشكلٍ إيجابي، وصحيح.

والايجابية هنا تعني تحديد ما تريد، وأيضًا متى تريد تحقيقه، وعند تحديد الهدف اكتب له على الأقل خمس دوافع أو أسباب واقرأه كل يوم مرّتين حتى تتولد الرغبة الحقيقية لتحقيقه.

٢- تسأل نفسك عن الشروط، والتضحيات المطلوبة لتحقيق الهدف، والعوائق التي تصرفك عن الهدف، أو تحول دون تحقيقه.

٣-تُجَمِّع مقدرتك وإمكانياتك.

٤-تعرف الدليل؛ أي متى تستطيع أن تقول إنك قد حققت الهدف ووصلت إليه.

٥-تحديد مسؤولياتك في تحديد الهدف، وتتمثل في:

- **التخطيط الجيد للهدف.**
- **ضعه موضع الفعل.**
- **قيّم الأمر تقييمًا موضوعيًا.**
- **عدّل في الأمر إن احتاج الأمر ذلك.**
- **التزم بالإخوان الثلاثة: الالتزام - الانضباط - الإصرار.**

الالتزام: هو القوة التي تدفعنا لنستمر في الشيء على الرغم من الظروف الصعبة، وهو القوة الدافعة التي تقودنا لإنجاز أعمال عظيمة.

الانضباط، والإصرار: يعنيان التحكم في الذات؛ فالانضباط الذاتي هو الصفة الوحيدة التي تجعل الشخص العادي يقوم بعمل أشياء فوق العادة وهو الاستمرار في التصرف، وهو القوة التي تصل بك إلى حياة أفضل.

يقول الدكتور «روبرت شلور»: «**لا تجعل أبدًا أية مشكلة تصبح عذرًا، وكن منضبطًا لكي تحل المشكلة**»؛ وأخيرًا: تذكر أن «**الماضي لا يساوي المستقبل**».

خذ قرارك، وعاهد نفسك بعدم السماح للمشاعر السلبية أن تخترق حياتك، وتحطمك مثل الإحباط، والقلق، والتردد، وتُوقفك عن التغيير، واعلم أن سبب معظم تعاسة وشقاء الكثير من الناس هو أنهم يعيشون كما يريد غيرهم، لا كما يريدون هم فلا تكن منهم.

ولا تكن رهينة لما يقوله الآخرون عنك، أو ما يرغبون في تحقيقه من خلالك، كن نسيج نفسك، وكن مبادرًا مقدامًا، كن دائمًا في أول الصف، وليكن شعارك ﴿ **هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ** ﴾(طه: ٨٤).

وقفة

قال المتنبي

إذا القوم قالوا من فتى خلتُ أنني عُنيتُ فلم أَكْسَلْ ولم أتبلَّدِ

قال المنفلوطي

«من العجز أن يزدري المرء نفسه فلا يقيم لها وزنًا، وعندي من يُخطئ في تقدير قيمته مستعليًا خير ممن يخطئ في تقديرها متدنيا، فإن المرء إذا صغرت نفسه في عين نفسه يأبى لها من أعماله، وأطواره إلا ما يشاكل منزلتها عنده، فتراه صغيرًا في علمه، صغيرًا في أدبه، صغيرًا في مروءته وهمّته، صغيرًا في ميوله وأهدافه».

عزيزي القارئ

إلى متى ستظل تظلم نفسك، وتزدريها، وتبخسها حقها، ولا تقيم لها وزنًا؟! لماذا مازلت لا تعرف نفسك، ولا تكتشف إمكانياتك، ولا تنمي مواهبك وقدراتك، ولا تطوّر من ذاتك؛ إن كل شيء يكمن بداخلك فأنت محور التغيير، وسر الكون، وأنت كنز الأرض، وإكسير الحياة، ولأجلك أنت خُلقت الجنة.

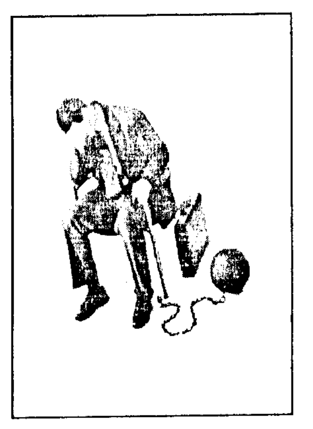
أنت كنز الدر والياقوت في لجة الدنيا وإن لم يعرفوك
محفل الأجيال محتاج إلى صوتك العالي وإن لم يسمعوك

لا تظن أن بإمكان العقبات أن تمنعك، أو العاهات أن تحول بينك وبين تحقيق ما تريد فكم من فاضل حاز المجد وهو أعمى، أو أصم، أو أبتر، أو أعرج، المسألة مسألة همم لا أجساد.

لا تنظر إلى الأشواك بين الزهور، ولكن انظر إلى روعة الزهور وهي تعلو الأشواك، لا تَشْكُ الصعوبة في كل فرصة تتاح لك، ولكن أوجد لنفسك فرصه في كل صعوبة، فالنجاح والتميز هو أن تبقى الروح حية، فلا تموت بأسرع من الجسد، والصاعد إلى القمة هو من تغمر وجهه أشعة الضحى فيسرح بصره على ما حوله من الخلق، والخليقة، ويستكشف نفسه ثم يهب من نومه فيعمل، ويكافح لأنه أماط اللثام عن حقيقة جديدة هي حقيقة نفسه، وطاقته، وقدرته؛ والراغب في القمة هو من يكون راعيًا لإرادته لا عبدًا لها، وهو الذي تنبثق في قدراته حياة جديدة، وهو الذي يسير إلى هدفه النهائي عبر الأهداف الجزئية، هو الذي يقفز فوق رؤوس المترددين، والمحجمين، وهو الذي لا يتخلى عن الحكمة، ولا يعتمد على ضربة الحظ، والصدفة.

معوقات الوصول إلى القمة

هناك بعض المعوقات تحُول دون وصول صاحبها إلى القمة إذا آمن بها، واستسلم لها، ولكن تأكّد عزيزي القارئ أنَّ بمقدورك فعل شيءٍ ما دام غيرك قد استطاع فعله، وكن على يقين أن الإنسان المثابر الـمُجِدَّ لا بد أن يصل...



إن نفسك تحمل بين طياتها روحًا جبارة، فأطلق لها العنان، وتأكّد أن النتائج في نهاية المطاف ستكون مرضية، إن لم تكن رائعة !

١ - عدم الشعور بالأهمية

وهي أن يستصغر الإنسان نفسه، ويشعر بالدَّنيَّة، ويرى أنه ليس أهلًا لتحمل المسؤوليات، والمهام الجسام وأن أهل القمة هم أناس من طراز آخر، وأنهم في وادٍ وهو في وادٍ آخر تفصل بينه وبينهم مسافات بعيدة، وهذا الشعور بلا شك يجعل صاحبه صغيرًا في عينه وأيضًا صغيرًا في أعين الناس، ويقعد صاحبه دون الوصول إلى معالي الأمور،

والنبي ﷺ حارب كثيرًا هذه الأفكار، وكان يزرع دائما في أصحابه معاني القوة، والشموخ فيقول ﷺ في الأحاديث الصحيحة:

«إن الله -تعالى- يحب معالي الأمور، وأشرافها، ويكره سفسافها»

«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»

«اليد العليا خير من اليد السفلى».

«إذا سألتم الله -تعالى- فسلوه الفردوس، فإنه سر الجنة».

«اطلبوا الحوائج بعزة النفس، فإن الأمور تجري بالمقادير».

«لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه، قالوا وكيف يذل المؤمن نفسه يا رسول الله، قال بأن يعرضها لما لا تطيق».

وكانت نتيجة هذه التربية النبوية أن تخرج الصحابة من مدرسة محمد ﷺ أصحاب همم عالية، ونفوس شامخة، وغايات عظيمة ينقلون خطاهم على الثرى بينما همتهم معلّقة بالثُّريا، وقلوبهم تحلق في السماء لا تقنع في طيرانها بما دون النجوم، ومع ذلك يسيرون على الأرض هونًا في تواضع واستحياء.

فكان منهم الخليفة الأول الذي كان معروفا باللين والرحمة، لكنه ما إن يسمع عن ارتداد بعض القبائل عن الإسلام بعد موت رسول الله

ﷺ حتى يقول بصوتٍ أفزع من حوله، وكان منهم عمر الذي لم يسمع الصديق وقد علا صوته مثل اليوم في حياته، ولكن هذا الصوت يعلو الآن في الحق معلنًا: «**والله لو منعوني عقال بعير كان يعطونه لرسول الله لقاتلتهم عليه**».

وكان منهم «عمر» الذي رأى يومًا رجلًا يسير في الطريق، وقد نظر في الأرض مبالغة في الخشوع، وغض البصر حتى تدلّت رأسه فوق صدره، وهو يمشي الهوينا مطأطئًا رأسه لا يرفعها فضربه عمر بالدرة قائلًا: «**لا تُمِت علينا ديننا أماتك الله**»

وأعطى رجلًا كيسًا به بعض الدراهم مكافأة له على شيء فعله، ولكن الرجل أراد أن يظهر الورع الزائد فنظر إلى الخليفة «عمر» وسأله «هل آخذ الكيس، والخيط الذي رُبط به الكيس أم أترك الخيط» فرمقه عمر بنظرة نارية، وقال له: «**لا بل اترك الكيس، وخذ الخيط**»، ولم يعطه عمر المال.

قصة

في موقعة اليرموك جمع الروم جيوشًا غفيرة لملاقاة المسلمين، وحشدوا كل قواهم، وكان عدد المسلمين لا يُقارن بعدد الروم فجاء

قائد الروم قبل بدء المعركة بعد أن نظر إلى عدد المسلمين، وهو يضحك ساخرًا وطلب أن يبرز إليه «خالد بن الوليد» قائد جيش المسلمين ليقول له شيئًا، ويبرز إليه خالد حيث تواجها فوق جواديهما في الفراغ الفاصل بين الجيشين، وقال (ماهان) قائد الروم يخاطب «خالد بن الوليد» قائد المسلمين في سخرية:

«لقد علّمنا أنه لم يخرجكم من بلادكم إلا الجهد، والجوع، فإن شئتم أعطيت كل واحد منكم عشرة دنانير، وكسوة، وطعامًا، وترجعون إلى بلادكم، وفي العام القادم أبعث إليكم بمثلها».

فما كان من «خالد» الذي تربّى في مدرسة ﷺ إلا أن نظر إلى (ماهان) ساخرًا، وقال له: **«إنه لم يخرجنا من بلادنا الجوع كما ذكرت، ولكننا قوم نشرب الدماء، وقد علمنا أنه لا دم أشهى، وأطيب من دم الروم فجئنا لذلك»**.

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها   هوانًا بها كانت على الناس أهون

وقفة

١ - إلقاء اللائمة على الآخرين

من أهم معوقات الوصول إلى القمة إلقاء اللائمة على الآخرين، وعدم الاعتراف بالتقصير، فمن السهل على الإنسان أن يعفي نفسه من مسؤولية الخطأ، وأن يلقيها على غيره متعللًا بالظروف، أو بالأسرة، أو بالصديق، أو الوقت، فالإنسان بطبيعته يحب أن يلعب دائمًا دور الضحية، وهؤلاء هم الذين لا يمكن أن تجدهم في القمة أبدًا، بل تجدهم بين الحفر، وخلف أرشيف المكاتب، وفي المهن الدَّنيَّة.

تقول الكاتبة «فيرا بيفر» في كتابها التفكير الإيجابي: «لكي تغير حياتك للأفضل فأنت تحتاج إلى ما هو أكثر من المعرفة النظرية، يعني ذلك بالطبع أنه يجب أن تتولى مسؤولية سعادتك، وأن تكفّ عن إلقاء اللوم على الآخرين لأي خطأ في حياتك، وذلك ليس سهلًا؛ لأنه -دعنا نواجه الأمر- من المستحسن أن تلوم والديك، أو الحكومة، أو الطقس لعدم استطاعتك التأقلم مع نواحي محددة في الحياة، والاعتراف بأنك لم تقم بنصيبك من العمل كاملًا، وبالتالي مازلت ملتصقًا بنفس الوظيفة القديمة، أو مازلت بدون شريك، أو تعيسًا كما كنت منذ عامين».

قصة

كان هناك زوج دائم الشكوى من زوجته التي لا تثني على شيء يفعله أبدًا، وإذا اشترى شيئًا لا تُسمعه كلمة ثناء، أو تشجيع فأصبح يكره هذه الحياة المملة، وهذه الزوجة التي لا يعجبها شيء، فأشار عليه أحد أصدقائه أن يكفّ عن لومها، وأن يبدأ هو بالثناء على كل ما تفعله زوجته، ولكن بطريقة مختلفة قليلًا، فلم يفهم الزوج فسأله صديقه قل لي مثلًا ماذا تطبخ زوجتك غالبًا في طعام الغداء؟ فأجابه الزوج غالبًا تطبخ الأرز وشيئًا آخر بجواره؛ فقال له صديقه عند تناولك الغداء أثنِ على طريقة طهيها، وقل لها: «ما أجمل طهيك أنا لا أستطعم الأرز إلا من يديك، أنتِ تطبخين لي الطعام منذ أن تزوجتك؛ أي منذ عشرة أعوام، والعام به ٣٦٥ يومًا؛ أي منذ ٣٦٥٠ يومًا، وأنتِ تطبخين لي الطعام بيديكي، فجزاكِ الله عني خيرًا»، ففعل الرجل ذلك فسخر منه أولاده في اليوم الأول، وقالوا له يا أبي هل أصبحت مدرس رياضيات.

فذهب في اليوم التالي إلى العمل، وأخبر صديقه بما حدث؛ فقال له صديقه استمر على هذه الحال في كل عمل تقوم به زوجتك، فعاد بعد العمل إلى البيت، وبعد تناول الشاي أثنى على الشاي، والحلويات التي

أعدتها زوجته وقال: «(يا سلام) يا أم محمد، كم مرة شربت من يديك هذا الشاي الجميل، إنني أشربه من يديك ثلاث مرات يوميًا، وأنا متزوج منك منذ عشرة أعوام، والعام به ٣٦٥ يومًا إذًا ٣×١٠×٣٦٥ = ١٠٩٥٠ أي عشرة آلاف، وتسعمائة، وخمسون يومًا، أي ما يقرب من ١١ ألف مرة شربت هذا الشاي الجميل من يدك» فتعجّبت المرأة كثيرًا لكنها لازمت الصمت، وتساءلت في نفسها ترى ما الذي حدث لعقل زوجي إنه لم يفعل ذلك من قبل قط؟! وفي صباح اليوم الثالث وقبل ذهابه إلى العمل قامت أم محمد كما تفعل يوميًّا بتلميع حذاء الزوج، وطلائه بالورنيش فقال لها: «(تسلم إيدك) يا أم محمد كم مرة قمتِ بتلميع الحذاء إنني متزوج منك منذ عشرة أعوام، وفي كل يوم تفعلين ذلك....»

وأخذ يحسب المرات وفي كل يوم كان يفعل ذلك فمرة يثني على الطهي، ومرة على كي الملابس، ومرة على تنظيف المنزل، ومرة على عدم إسرافها في المال، ومرة على ذوقها في اختيار الملابس، ومرة على مذاكرتها للأبناء، وظل الأمر هكذا؛ وبعد ثلاثة أسابيع دخل أبو محمد البيت، وقد اشترى كيسًا من الفاكهة فقالت له أم محمد: «(تسلم إيدك) يا أبا

محمد إنك نعم الزوج كم مرة اشتريت لنا الفاكهة فمنذ أن تزوجنا من عشرة أعوام وأنت الذي تشتري لنا الفاكهة، و١٠×..»

وأخذت المرأة أيضًا تثني على كل ما يقوم به أبو محمد، وكل ما يفعله، وزالت المرارة التي كان يجدها أبو محمد من زوجته التي لم يكن يعجبها شيء، ولا تثني على أي شيء يفعله، وما كان ذلك إلا لأنه كفّ عن لومها، وأخذ هو الخطوة الأولى للتغير، وبدأ بنفسه ولو ظل يلقي عليها اللوم لظلت الحياة كما هي كئيبة، ومملّة، ومحبطة لا تجد فيها كلمة ثناء، ولا تسمع فيها همسة شكر إلا الصمت والجفاء.

وقفة

«الناجحون في هذا العالم هم الذين لا يلقون باللوم على الظروف وإنما ينهضون، ويبحثون عن الظروف التي يريدونها، وإذا لم يجدوها صنعوها بأنفسهم».

١ - الفشل في بعض المواقف

يجب على الإنسان أن يعمل بآراء نضرة، وقيم متجددة بناء على أن كل يوم هو يوم جديد، فأحيانًا يدفع الفشل المتكرر في بعض المواقف صاحبه للاستسلام، واليأس، والإيمان بعدم الجدوى، والتنبؤ بالفشل

في أي موقف آخر قادم، وبالتالي يقعد بصاحبه عن الطموح في أن يكون واحدًا من أهل القمة، ويلازمه الشعور بالإحباط، وما يدري أن الفشل في بعض المواقف لا يعني أن الشخص نفسه فاشل، وشتان ما بين الاثنين؛ فالفشل في بعض المواقف قد يكون هو الوقود الذي يشعل به الإنسان فتيل نجاحه، وكما يقول «**جيمس جويس**»: «**الأخطاء هي مداخل الاكتشاف**».

ويقول الكاتب الراحل «**عبد الوهاب مطاوع**»: «**إن الانتصار الحقيقي لأي إنسان ليس في أن يستثمر مكاسبه، وأرباحه؛ وإنما الانتصار الأهم هو أن يحول هزائمه، وعثراته، وخسائره الشخصية إلي نجاحات، وانتصارات**».

الشاعر الألماني (**جوته**) ١٧٤٩ - ١٨٣٢م حين تراكمت عليه الديون، وأصابه الإفلاس، والفقر، وحاطه الفشل من كل جانب في كل عمل يحاوله، أخذ يكتب ليسد ديونه، فكان يكتب في البداية من أجل الحصول على المال ليحفظ ماء وجهه من الديانة فاستمر في الكتابة حتى ملأت كتاباته، وأشعاره السمع، والبصر؛ واشتهر بين الناس فبدأ مجده الأدبي الحقيقي بإفلاسه، وهذا هو معنى أن يحول الإنسان عثراته،

وخسائره إلى نجاحات، وانتصارات؛ فالفرق بين الانتصار، والانكسار هو استبدال الكاف والسين بالتاء والصاد.

قصة

اضطرت إحدى شركات التأمين لتسريح مجموعة كبيرة من الموظفين؛ لأنها ستنضم تحت شركة أخرى، وكان «جمال» و «أشرف» يعملان في الشركة منذ زمنٍ بعيد حتى وصلا إلى درجة مدير مبيعات، وفجأة وجدا نفسيهما في الشارع، فقال جمال لأشرف: ماذا سنفعل؟ لقد أصبحنا في الشارع، لقد كان راتب كل واحد منا ثلاثة آلاف جنيه شهريًّا؛ فكيف سنعيش الآن؟!

أشرف: يجب أن نبحث عن عملٍ آخر من الغد.

جمال: إذن ابحث لي معك عن عمل، فأنت تعرف خبرتي في هذا المجال.

ومكث جمال في بيته يدخن السجائر، وخرج أشرف يبحث عن عمل، وظل يبحث ويسأل شركات التأمين الواحدة تلو الأخرى ويسأل له ولصاحبه، وكان صديقه جمال يتابعه يوميًا على الهاتف ليعرف ماذا فعل، وقدم أشرف السيرة الذاتية له ولصديقه في أغلب شركات التأمين، وفي يوم اتصلت به إحدى شركات التأمين وطلبوا منه أن يعمل

لـديهم في وظيفـة محـصل، فـتردد أشرف في البدايـة وقـال كيـف أعمـل محـصلًا وقـد كنـت مـدير مبيعـات، كيـف أعمـل في إدارة التحـصيل؟! فقالوا له هذا هو المتاح، فقبل أشرف وفضّل أن يعمل بدلًا من أن يظل بلا عمل، وحين عاد إلى المنزل اتصل به جمال، وسأله عما فعل فأخبره أشرف أنه وجد وظيفة محصل بـ ٥٠٠ جنيه شهريًّا فسأله كيف تقبل ذلك فأخبره أشرف أنهم سيعطوه على كل قسط يحصله ٥ جنيهات إضافية، وقال له لقد قبلت لأنني لا أستطيع الجلوس في البيت إلى جوار زوجتي، فلئن أخرج كل يوم إلى العمل مهما كان بسيطًا خيرٌ لي من الجلوس في البيت مثل النساء، ولكن جمال قال له أنا لا أستطيع أن أقبل ذلك أبدًا، فجلوسي في البيت أكرم لي.

وبعد ٣ سنوات أصبح أشرف مديرا لشركة التأمين التي بدأ فيها محصّلًا، وأصبح جمال نزيل مستشفى الأمراض العقلية.

عزيزي القارئ

إن الشخص الراغب في الوصول إلى القمة هو من يحسم الأمور، ويسيطر على الأحداث، ويحرّكها، ولا يدعها هي التي تحرّكه أينما شاءت فهو حاسمٌ مسيطرٌ يملك زمام الأمر بيديه، يكون في كل الأحوال (فاعلًا) وليس مفعولًا به، أما الشخص الذي يفتقر إلى سموّ الغاية، وعلوّ الهمة فتعرفه من أول وهلة حيث تجده (مفعولًا به) دائمًا يترك الأحداث تحركه، ويكون لعبة في يد الظروف، عاجزًا عن ضبط الأمور واتخاذ قرار حاسم، فتجد حياته عبارة عن فصول متتالية من مسرحية كوميدية تعج بالفوضى كما تجده دائمًا في حالة انتظار لحدث مفاجئ قد يغير حياته، أو صديق ناصح يفكر له، ويرشده إلى ما يفعل.

فالفاشل هو من لم يدرك كم كان قريبًا من النجاح عندما استسلم للفشل !

وقفة

يقول الداعية «محمد أحمد الراشد»: «كن حمّالًا في السوق، ولكن قرر مع أول خطوة لك فيه أن تصير تاجرًا، أو عقاريًّا، أو صاحب شركة؛ فستصل.. المهم تصميمك».

١ - الخوف والكسل

هناك أناس يخافون من مجرد الأحلام، يخافون من الغد، يخافون من نقد الآخرين لهم، لا تجد لديهم روح المجازفة، ولا يملكون الجرأة لتغيير أي شيء، أو فعل ما يريدون؛ وهؤلاء يخلدون إلى الكسل، والدّعة، ويؤثرون الراحة على العمل، ويرون أن الإقدام درب من التهوّر، وأن المبادرة نوعٌ من إلقاء النفس إلى التهلكة، وهؤلاء - لعمري- هم الذين كتبوا شهادة وفاتهم وهم مازالوا على الأرض أحياء؛ إن الجرأة، والحماسة هما الطريق إلى النجاح، والتفوق بل هما الطريق إلى الحياة الحقيقية، وإن بإمكان السمكة الميتة أن تعوم مع التيار، ولكن السمكة الحية فقط هي القادرة على السباحة ضد التيار.

يقول الدكتور (**سيد حسين عفّاني**) صاحب موسوعة «علو الهمة»: «هناك رجال تظل وقدة الشباب حارة في دمهم وإن أنافوا على الستين لا تنطفئ لهم بشاشة، ولا يكبو لهم أمل، ولا تفتر لهم همّة، وهناك شباب يحبُون حبوًا على أوائل الطريق لا ترى في عيونهم بريقًا، ولا في خطوهم عزمًا، شاخت أفئدتهم في مقتبل العمر، وعاشوا ربيع الحياة لا زهر ولا ثمر».

ولقد نعى الله -عز وجل- الذين يخافون، وذمّهم في القرآن الكريم فقال ﷻ: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ (التوبة: ٥٦ – ٥٧).

قصة

مسابقة (الماراثون) التي تقام كل عام هي مسابقة للجري، ويكمن التحدي فيها فيمن يقطع المسافة كاملة ويستطيع أن يصل إلى الماراثون، فالعبرة بمن يكمل لا من يسبق، وكانت المفاجأة أن قررت امرأة مسنة تبلغ الستين من عمرها قبول هذا التحدي، وأصرّت على دخول المسابقة وهي في هذه السن، واندهش الجميع وظنوا أنها بعد أقل من ربع المسافة سوف تتوقف، وتلهث، وترجع أدراجها للخلف، وبدأت المسابقة وسار المتسابقون ومضت الساعات، وتعب الجميع، ولكن المسافة ما زالت طويلة، واستسلموا جميعًا الواحد تلو الآخر، وكانت **المفاجأة** أن هذه المرأة ذات الستين سنة بلغت النهاية، وفازت بالمسابقة، وواصلت هذه المرأة السير بالرغم من أنه أصابها جفاف شديد، وتمزّق في عضلات الساقين كما أصابها قصور بالكلى، ولكن العزيمة والإصرار

جعلاها تكمل واثقة من الفوز، وأنها تستطيع ذلك وإن بلغت الستين من عمرها.

وقفة

«لكي تتجنّب النقد لا تفعل أي شيء، ولا تقل أي شيء، وكن لا شيء».

حوار

قال الصديق لمضيفه: الماء يتسرب من السطح لماذا لا تصلح السقف؟

رد المضيف: كيف أصلحه والمطر منهمر؟

قال الضيف: لماذا لا تصلحه عندما يتوقّف المطر؟!!

قال المضيف: عندما يتوقف المطر لا يتسرب الماء.

١ -الاستسلام لأقاويل المثبّطين

لا يمكن أن يصل إلى القمة وأن يكون من أهلها ذلك الذي ترك نفسه فريسة لأقاويل المثبطين الذين لا هَمَّ لهم إلا أن يزرعوا اليأس والإحباط في نفوس الطامحين، وهذا ما نعانيه -وأقولها صراحة- في عالمنا العربي، فمن منا نشأ في بيئة تعزز الثقة في النفس، وتدفع المرء إلى الأمام وتقول له انطلق ونحن معك نلهمك، ونساعدك، ونأخذ

بيدك؟! ، حتى وإن توفر ذلك في أسرة متفهمة مثقفة سرعان ما يصطدم هذا الشخص بالواقع من حوله، ولكن هل يُعْفَى من المسؤولية من يستسلم لهذا الواقع، ويرضخ لأقاويل المثبطين، ويتخلى بكل سهولة عن حلمه وطموحه، إنه سيكون بذلك الفعل هو الجاني الحقيقي على نفسه وليس غيره، فلا يمكن لأحد أن يشعر غيره بالدَّنيَّة دون موافقة الشخص نفسه، وإن من يملك التصميم والإرادة لن يركع أمام الغير، وإن اضطرته الأحداث للتقهقر خطوة فسيجعل منها قوّة دفع تدفعه إلى الأمام خطوتين، فلا يجب أن يتأثر الشخص بوجهة نظر الآخرين السلبية عنه بل يجب عليه أن يعبرها، ولا يخزنها في عقله، ولا يجعل رأي غيره عنه قناعات يتعامل معها على أنها حقيقة ثابتة.

قصة

كان هناك فلاح يملك جوادًا عربيًا أصيلًا انتفع به زمنًا، وكان الفلاح يحب هذا الجواد، وفي يوم من الأيام وقع هذا الجواد في حفرة واسعة وعميقة جدًا، وحاول الفلاح بشتى الطرق أن يخرج الحصان من الحفرة، ولكنه لم يستطع، وأخذ يسأل عن طريقة لإخراجه فلم يجد إلا أن يأتي برافعة كبيرة لترفع الجواد من الحفرة، ولكنه وجد أن المال الذي

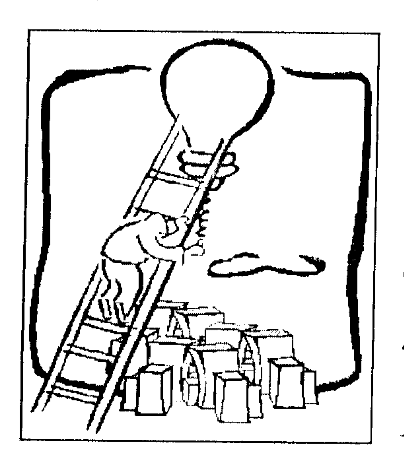
سيدفعه لاستئجار هذه الرافعة يفوق ثمن الجواد بكثير، فقال في نفسه إن شراء جوادٍ غيره أقل تكلفة من إخراجه، فقرر أن يترك الجواد في الحفرة، ولكن البعض أشار عليه أن يردم الحفرة، ويدفن الجواد إكرامًا له وألا يتركه في هذه الهوّة السحيقة حتى لا تفوح رائحته بعد موته، ويتضجر الناس من ذلك، فأحضر الفلاح أحمالًا من الرمل، وأخذ يلقي بالرمل في الحفرة فوق الحصان، ولكن الجواد لم يرد أن يستسلم للموت وقرر أن يتخذ من هذه الرمال التي ستكون سبب دفنه سبيلًا للصعود أعلى الحفرة، فكان الفلاح كلما رمى ببعض الرمال فوق الجواد نفضها الجواد عنه سريعًا فصارت الرمال تحته، وليست فوقه، واستمر الفلاح في إلقاء الرمال وهو لا يرى ما يفعله الجواد حتى ارتفع الجواد عاليًا بعدما امتلأت الحفرة بالرمال، وفوجئ الفلاح بالجواد يخرج من الحفرة، وفرح الفلاح كثيرًا، واستبشر وأراد أن يحتضن الجواد ولكن الجواد أبى ذلك، وترك الفلاح ومضى بعيدًا عنه.

وقفة

«لا يمكن لأحد أن يركب ظهرك إلا إذا انحنيت أنت له أولًا»

حياة الأفذاذ وتقنيات الوصول إلى القمة

من منا لم يؤخذ بسحر شخصية فذّة أنجز صاحبها ما لم ينجزه سواه؟! ومن منا لا يتوقّ إلى بلوغ شأوه؟! والحصول على مرتبة مثل مرتبته؟! وما أكثر ما تنطوي عليه حياة العبقري من حوادث وأحداث! ولكن ما أكثر ما تحفل به من متاعب، ومشقات، وما تذخر به من مآسٍ وشقاء! وهم دائبون ماضون في سبيلهم الوعر يتحدون كل عسير، ويذللون كل صعب، ثم يكشفون كل جديد، ويتحفون الدنيا بروائع اختراعاتهم واستنبطاتهم، وهل كان لهم أن يتفوّقوا لو تقاعسوا وقعدوا؟! هل كان سيكتب لهم الخلود كما كتب لو طلبوه على أهون سبيل؟! وما أعظم الأثر الذي خلفوه وراءهم! لقد ترقَّوا بالفكر، وترقوا بالإنسان كل في مجاله ومضماره، واختاروا ما خلقوا له؛ فأجادوا، وما كانوا ليجيدوا لولا كفاحهم، وصبرهم، وتضحيتهم؛ فالنجاح ليس



ثمرة تقطف من شجرة، النجاح ثمرة تقطف من سماء عالية، وإن ثمن التفوق، والتميز كبير هائل، ثمنه عرق، ودماء.. وهو ثمن لا يقدر بمال.

وبعد أن تجولنا معًا على صفحات هذا الكتاب، وعرفنا المعوقات التي تحول بين الشخص والوصول إلى القمة، والتميز، والانطلاق، واستعرضنا المشكلة لابد لنا من رسم خارطة الوصول، وتوضيح الخطوات التي ستصل بنا إلى القمة، وسنستعرض معًا نماذج رائعة ممن سبقوا، ووصلوا إلى القمة في العلم، والمعرفة، والحكمة، والنجاح، وتركوا لنا ميراثًا عظيمًا من الإنجازات عن طريقه سنعرف طريق الوصول إلى القمة، وبالخطوات التي ساروها سوف نستكشف الخارطة.

الباحث عن الحقيقة

من يراه من بعيد يسقطه فورًا من عقله وقلبه بمجرد أن تقع عليه عينه، فقد كان جاحظ العينين أفطس الأنف، قد زهدت قسمات وجهه في الوسامة، وبرزت شفتاه عن وجهه بغلظة تجعل الناظر إليه يتمنى أن لا يفتحهما حتى لا يرى ما وراءهما، أو يسمع ما يتلفظان به، خرج من بيته المتواضع الفقير الذي كان مليئًا بالأحجار التي احترف أبوه نحتها ليصنع منها التماثيل، خرج يمشي بأناة، وهدوء، والناس تقهقه بصوت عالٍ من منظره، ثم تحركت شفتاه الغليظتان بسؤال لهذه الجموع المتهامسة فيما بينها عن سذاجته، وبلهه فقال لهم:

- لماذا لا تبحثون عن الخير؟!

- لأننا نعرفه يا سقراط.

- إذًا، فلماذا ما دمتم تعرفونه لا تفعلونه؟!

- أليس يكفي أن نكون خبراء في حذقه يا سقراط...؟!

- كلا، ليس الخبير في الخير من يعرفه، بل من يملكه. ثم أني أشك في مجرد خبراتكم، ومعرفتكم له؛ فهل تعرفونه حقًّا؟!

- أجل أجل نعرفه كما نعرف أنفسنا.

- إذًا أنتم تعرفون الغرض الحقيقي لحياتكم؟!

- نعم أن نعيش يا سقراط...

- لكن البهائم تعيش.

- نعيش عيشه صالحة يا سقراط.

صاح سقراط:

- حسن هذا حسن كثيرًا؛ تعالوا نعرف ما العيشة الصالحة عندئذ سنكون قادرين على أن نعرف ما هو الخير.. دعونا نتعاون على معرفة الحق لأنه لا سبيل للعمل به قبل معرفته.

كان هذا الرجل هو «سقراط» أبو الفلسفة الذي كفر بآلهة أثينا، وزلزل سكينة العقول الهاجعة بسؤاليه الدائبين كيف....؟ **ولماذا**.....؟ والذي أطلق عقله في معرفة الفضيلة، والخير، والشر، والجمال، وكان يقول للناس: إننا نحمل داخل ذواتنا شيئًا عظيمًا هو أثمن ما نملك، ولكن يجب أن نعرفه، ونجيد معرفته ذلك الشيء هو أنفسنا.

ويقول:

إننا لسنا هملًا، ولم نخلق عبثًا، ولا نتاج المصادفات، بل نحن أبناء مشيئة كبرى اصطنعتنا لغرضٍ كبير، ونقطة البدء في مسيرنا الطويل هي معرفة أنفسنا.

ولأن شخصًا كهذا سوف يفتح بسؤاله وحواره العقول، والقلوب لمعرفة الحق، ونبذ الشر، وسوف يحمل مشعل الخير، والفضيلة، والصدق، والبذل، والحب؛ كان على عمالقة الشر أن يُسْكتوا هذا اللسان إلى الأبد، وأن يقضوا عليه.

فاجتمع قضاة أثينا، وأزلام الآلهة، وعبدة الأصنام ليحكموا بأن الفلسفة كفر، ويوجّهوا للفيلسوف العظيم تُهْمَتَيْ الهجوم على الآلهة وإنكارها، وإفساد عقول الشباب بهذه الهرطقة التي يسميها «الفلسفة»، وقضت عليه محكمة مكونة من (٥٠٢) عضوًا بالإعدام، فلم يَخَفْ، ولم يجزع، بل تلقّى هذا الحكم راضيًا، ولكنه أراد أن يختم حياته وهو ما زال يؤدي رسالته، رسالة الحق، والعدل، والمساواة، ونبذ الأصنام، وفتح الطريق أمام العقل الإنساني الذي هو أسمى ما خلق الله، فتقدم بعد تلقيه خبر الإعدام بالسم، تقدم في ثقة وابتسامة أثارت الرعب في نفوس خصومه ليقول:

«يا قضاة أثينا كم كان سلوكي سيبدو سيئًا لو أنني عصيت الله فيما أعتقد أنه يأمرني به فنكصت عن أداء رسالة الفلسفة، وتوقفت عن دراسة نفسي، ودراسة الناس، وفررت مما كلفني به خشية الموت.. أيها الأثينيون: إن من يحارب مخلصًا في سبيل الحق لن يمتد به الأجل إلى حين، ومن أجل هذا فأنا لا أخاف الموت، أجل إني لا أخافه، ولا أعرف طعمه، ولعله شيء جميل، غير أني على يقين من أن هجران واجبي شيء قبيح، ولذا فحين أُخَيَّر بين الموت الذي يحتمل أن يكون جميلًا، وترك الواجب الذي هو من غير شك قبيح؛ فإني لا أتردد في اختيار الأول فورًا».

«إن الخير الأعظم لكم هو أن تتركوني أواصل رسالتي، أما إذا أردتم تبرئتي على أن أترك البحث عن الخير، وعن الحق فسيكون جوابي: أنا شاكر لكم أيها الأثينيون، ولكني أُوثر طاعة الله الذي أعتقد أنه ألقى على كاهلي هذا العبء الجليل».

هذا هو أبو الفلسفة سقراط العظيم، ولم تنتهِ عظمته عند هذا الحد بل تتجلى أكثر حين عرض عليه جماعة من تلامذته تهريبه من السجن، وأنهم أعطوا السجان (رشوة) وافق بعدها على تهريبه، وأنهم هيئوا له

أسباب السفر إلى (تسالي) حيث يعيش هناك، ويواصل أداء رسالته الكبرى، فحسبوا أنه سيفرح كثيرًا بذلك لا سيما أنه سيموت من غير جناية ارتكبها، وفوجئ تلامذته وهو بين جدران السجن يجيبهم في أناه، ويفند رأيهم، ويعلمهم وكأنه معلم في مدرسة وقته متسع وفرصته متاحة، وليس محكومًا عليه بالإعدام سيُعطى بعد حين قريب كأس السم ليتجرعه ويموت، لقد أجاب تلميذه (أقريطون) الذي كان حريصًا كل الحرص على حياة أستاذه ومعلمه :«ولكن لماذا أهرب يا أقريطون من الموت؟! طبعًا لأظفر بالحياة حسن هذا.. وإذًا فلنبدأ بأن نعرف ما الحياة، ثم يخبرهم أن الحياة إن لم تكن على صواب فهي لا تعني الرجل العاقل، وأن الهروب ليس صوابًا، ثم يقول : «ثم كيف أستطيع يا أقريطون إذا ارتكبت رذيلة الجبن أن أتحدث عن فضيلة الشجاعة؟!».

ويخجل تلامذته منه ثم يسألوه: على أي نمط يحب أن يدفن؟ فيجيبهم: «على أي نمط تشاءون؟، إنكم ستدفنون الجسد وحده، أما الروح ذاهبة إلى مكان يبعث فيه السرور، هناك بين المباركين، لن أمكث بعد مماتي»، ثم يخرجوه من السجن ليتجرع كأس السم، وحين يتناوله يوصي وصيته الأخيرة، ويقول: «يا أقريطون إني مدين بدين (لاسكيوبيولاس) فرده إليه، ولا تهمل»، ثم يرفع كأس السم إلى فمه ويقول: «اللهم أجعلها رحلة مباركة سعيدة»، ويتجرع السم، ثم يغلق عينيه بعد أن فتح العقول عن معاني الحق، والخير، والعدل، والجمال، والرحمة، والفضيلة.

عزيزي القارئ

هذا واحد ممن فتحوا عقول البشر وكان رائدًا من رواد القمة، وهكذا كانت حياته.. لم يكن صاحب جاه، ولا سلطان، لم يكن يتسم بالوسامة وبهاء المنظر، ولم يكن غنيًا ميسورًا، بل نشأ في بيئة تضاد، بل تحارب الفكر الذي أضاء به عقله، بل إن البيت الذي نشأ فيه هو المصنع الذي تصنع فيه التماثيل والآلهة.. إذًا فليس شرطًا في بلوغ القمة أن

تكـون وسـيمًا، أو جمـيلًا، أو صـاحب منـصب، أو أن تجـد الجميـع مـن حولك يصفق لك، ويشجعك.

لقد كان سقراط وحيدًا لا يحظى إلا بالـسخرية، والاستهزاء مـن سكان أثينا جميعًا، لكنه لم يُبالِ فقد آمن بذاته، وبالرسالة التي حملها عـلى عاتقه، وهذه هي الخطوة الأولى في تقنيـة الوصـول إلى القمـة؛ أن يكـون لك رسـالة وهـدف لهذا العـالم الـذي تعيش فيـه، وأن تـصبر مـن أجـل رسالتك مهما لاقيت في سبيلها، وألا تتنـازل عنهـا مـن أجـل شيء مهـما كان هذا الشيء، حتى ولـو كـان هـذا الـشيء هـو الحيـاة ذاتهـا، فقـد آثـر سقراط المـوت، وحـرص عليـه فوهبـت لـه الحيـاة الخالـدة في صـفحات التاريخ، ومازالت أقواله مشعلًا يضيء العقـول، ويفـتح الأذهـان إلى أن تقوم الساعة.

يوريكا يوريكا

من الأوائل.. من الرعيل الأول، اعتبره من جاءوا بعده رائدًا من الرواد الأفذاذ، فرغم ندرة الوسائل والتسهيلات قبل أكثر من ألفي سنة فقد انكبّ هذا الفذ على أعماله، وأبحاثه، واستكشافاته مما تعتبر اليوم من الأُسس التي بُنيت عليها كثير من المخترعات الحديثة التي تعتبر من عجائب الإنسان الذي هو في حد ذاته من عجائب الدهر.

كان وهو يأكل يفكّر، وهو يغتسل يفكر، انصبّ، وانكبّ وآلى على نفسه أن يُحدث انقلابًا في المفاهيم، والموازين، فبينما هو يغتسل ذات يوم تنبه إلى الماء الفائض، وألهمه توقُّد خاطره إلى ما في هذا الفيض من معنى لم يفطن إليه إنسان، فقفز وهو عارٍ، وخرج إلى الطريق يعدو كمن به مس، ويصيح: «**يوريكا يوريكا**» أي؛ «**وجدتها وجدتها**»، فماذا وجد؟! لقد وجد الرجل العظيم سر «**الثقل النوعي**»، وجد ما يعرف الآن (**بقاعدة أرشميدس**).

فقد وجد هذا العلّامة «**أرشميدس**» أن الجسم المغمور في سائل يفقد من وزنه مقدار وزن حجمه من السائل، وهكذا نجح أرشميدس، وكان نجاحه مضرب الأمثال... فما المؤدي إليه؟!

إرادة، وإقبال، وانكباب على العلم، سعى سعيًا لا هوادة فيه، كرَّس نفسه للرياضيات، درس الهندسة، وتقدم بها، واستطاع أن يحسب نسبة محيط الدائرة إلى قطرها، استنبط طريقه لقياس المساحات، وأحجام الأجسام الكروية، وأحب العلم للعلم لا لما يجنيه من كسب وربح، انكبّ على أوانيه، وكتبه واضعًا نصب عينيه إحراز النجاح في كل عمل يعمله، وما أكثر الاختراعات التي توصل إليها، ومنها اختراعات مازال الناس -حتى يومنا هذا- يستعملونها بعد التحسين.

ولقد دمّر أسطولًا للعدو باختراع له، دمّر أسطول الرومان (**بالمرايا الحارقة**)، فلقد سلَّط على الأسطول المعادي المرايا المقعّرة المصنوعة من الصفائح المعدنية تنعكس عليها أشعة الشمس.

قال يومًا للملك لو وضعت قدمي خارج هذا العالم في مكان غيره لاستطعت أن أزحزح الأرض، وأوقفها، وإثباتًا لكلامه أقام رافعة لها

بكرات متعددة، وربط سلسلتها الضخمة بمركب، ولما سحب الملك السلسلة ارتفع المركب الثقيل.

ومات العبقري أرشميدس الذي فاق نجاحه كل نجاح.. شهيدًا، مات بطعنة جندي عدو، فقد كان وبالًا على الأعداء باختراعاته، وعبقريّته، وحين كان يلفظ أنفاسه الأخيرة قال: «قتلوني.. ولكنهم لم يقتلوا عقلي».

عزيزي القارئ

إن هذه الذات المبدعة أثبتت وجودها بما حققته من غرائب الأمور، وما أسدته من خدمات للإنسانية؛ إن هذه الذات نجحت فابتدعت، ووضعت المقاييس، وعيّنت الأشياء، وكان السر هو أن تخصص أرشميدس، وركّز على تخصصه، ولقد تميّز أرشميدس بعقل مفكّر دؤوب، كان يفكر في كل أحواله ويتأمّل.. والتأمّل كان طريق وصوله إلى القمة، وطريق اختراعه لنظرية الثقل النوعي، أو قاعدة أرشميدس.

وهكذا فإن أصحاب القمة لهم حسٌّ مختلف، فهم لا ينظرون إلى الأشياء كما ينظر إليها غيرهم، إنهم متميزون حتى في تأملهم، وهم

ينظرون إلى حقيقة الشيء لا إلى مظهره، وهم الذين يحللون الظواهر من حولهم، لا يعيشون هملًا كما يعيش الكثيرون غيرهم، فليست أعمارهم ركامًا من الساعات، والأيام، ولا حطامًا من الشهور، والسنين؛ وبهذا يصبحون من أهل القمة.

من الصفر

لـو قلنـا إن جيـشًا قوامـه ألـف رجـل سـوف يفـتح بـلادًا كـبلاد الأندلس، وينزعها من قبضة واليها؛ ما أظن أن أحدًا كـان يـصدق لأنـه لا يتثنى لألـف رجـل فقـط أن يفتحـوا بـلاد الأنـدلس، فكيـف وفاتحهـا رجل واحد؟! صقر قريش... ابن الخلائف... عبد الرحمن الداخل!

من كان يظن أن هذا الفاتح المغوار جنَّ عليه الظلام ذات ليلة مـن الليالي وهو سابح في مـاء الفـرات بـين ظلـمات ثـلاث؛ هـي ظلمـة المـاء، وظلمة الليل، وظلمة الخوف من سيوف الأعـداء، يتلفّـت خلفـه لـيرى أخاه الصغير وقد خدعه جند العباسـيين بـالوعود الزائفـة فرجـع إلـيهم لتتلقفه سيوفهم، ويذبحوه أمام عينه وهو لا يملك أن يرجع لينقذه مـن أيـديهم، بـل لا يملـك أن يـصرخ بـصوتٍ مـسموع «**فـدتك روحـي يـا أخي!!**».

ومن كان يظن أن هذا الأمـير المعتلي عـرش الأنـدلس في يـوم مـن الأيام كان هو ذلك الـمُلقى على الشاطئ منهوك القوى، مبتل الملابس، أشعث الرأس، لاهث الأنفاس، خـاوي الـبطن، ضـامر الجـوف، عاريًـا

من كل أسباب القوة بعد ليل طويل قضاه يصارع الأمواج وهو مع ذلك يحمل بين جنبيه صدرًا مشتعلًا بالنار، وقلبًا ملتهبًا بالحُرقة على أخيه الذي ذُبح أمام عينه، ومن قبل أخيه الذي قُتل غيلة، فصار وحيدًا من الأخوة، طريدًا من الوطن، شريدًا من العشيرة، مسلوبًا من العز، فقيرًا من الملك، ومحرومًا من الأمن، لا يستطيع حتى أن يدفن جسد أخوته في الثرى، أو أن يأخذ فيهم العزاء، **فيالله حين يكبو الجواد، ويتعثَّر الفارس، ويذل العزيز !**

ومن ذا يظن أن هذا القائد المطاع الذي لا ترد له كلمة، ولا يراجع له أمر كان هو نفسه ذاك المطارد المتخفي الذي يتنقل بين الشعاب، والوهاد من بلد إلى بلد.. يجوع يومًا ويشبع يومًا، ينام مفتوح العينين، لم يذق طعم الأمان، والألم يعصر قلبه كلما سمع عن قتل قريب له شيخ كبير كان، أو طفل صغير.

قتل، وذبح، وترويع، وتشريد، بحار من الدماء تسيل، وأشلاء تتناثر هنا وهناك، وأمة ذلت من بعد عز، ضاع الأمان وتاه الحلم، وتفشى الظلم، وأعمل البطش سيوفه، فاستحلت الدماء، واستبيحت

الحرمات، وهُدمت القصور، وانتُهكت الضياع وما أشبه اليوم بالبارحة..!!

لكن رجلنا وسط كل دواعي اليأس هذه لم يتطرّق اليأس إلى قلبه، ولم يعرف الإحباط، ولم يخمد له أمل، ولم يخبُ له حُلم، ظل يحلم أن يعيد مجده الضائع، وعزّته المسلوبة، وملكه المنهوب؛ كان لا يملك غير الهدف لكنه سعى إلى تحقيقه، وظل يعمل دائبًا.. بدأ من الصفر لكنه كان يملك الإيمان بالهدف..

كان وحده لكنه كوَّن من أعضائه جيشًا لا يُقهر، وبنى في داخله حصن الكبرياء المنيع، وشهر سيف عزمه أمام جيوش الوهن، والضعف، واليأس، والخور؛ فأبادها جميعًا، وأقسم يمين الولاء للنصر أو الموت دونه في عزة، وعقد لواء الهمة على ربوة الحلم العالية، واعتلى جواد الحزم، والثقة، ورفع راية الإيمان، واليقين، وكانت الغاية هي استعادة المجد الضائع؛ أما الحلم فأندلسًا إسلامية يصدح في أرجاء مساجدها الأذان!

وبطلنا فارس الأندلس حين وضع الهدف كان يعلم في نفسه أن الهدف عظيم، وأنه بشرٌ ليس بملك يستنزل النصر من السماء، ولا نبي ينتظر المعجزة، بل هو عبد من عباد الله يسعى إلى مرضاة الله، ويثق في قدرته ﷻ، وفقط عليه أن يخلص القصد، ويأخذ بالأسباب، ويشمر عن ساعد الجد، ويعمل فكره، وعقله، ويدرس خطواته وخططه، ويدير شؤونه في حكمة وروية، وهو في كل ذلك يقظ حذر، لا يُصَاد بطُعْم، ولا تخدعه الحِيَل، ولا تثني من عزمه الأباطيل، ثائر جوال، لا يحده مكان ولا زمان، يعرف أنه مخلوق من طبيعة هذه الأرض، وأنه يتكون من مكوناتها، فيستشعر في نفسه صلابة الحديد، وصلد الحجارة، وقوة الفولاذ، وصقل الذهب، وبريق الماس، وجمال الياقوت، يستهين بالأخطار دون أن يغفل عنها، ويستصغر الأهوال وهو يعدّ لها عدتها، لا يعرف التثاؤب، ولا الراحة، ولا السكون، ولا الترف؛ لأنه يؤمن أن الراحة للرجال غفلة، وأن برد العيش لا يحصل إلا بحرِّ التعب، وأن المكارم منوطة بالمكاره، والسعادة لا يُعبر إليها إلا على جسر المشقة، كلٌّ له غرض يسعى ليدركه، والحر يجعل إدراك العلا قبلا، كلما شعر بقرب

الخطر منه استهان به مرددًا.. لا تهيء كَفَني يا عاذلي فأنا لي مع الفجر مواثيق وعهد.

عزيزي القارئ

هل لك أن تتعلم من فارس الأندلس، وأن تستلهم منه الدروس والعبر، فمن لم ينظر في صفحات ماضيه يعمى عن حاضره، وآتيه؛ ومن لم يتطلع إلى مرابض النسور عاش عمره بين غربان الجيف، ومن لم يستفد من تاريخ السابقين لن يكون له ذكر بين الباقين.

- فإلى كل الراكنين إلى اليأس المغلقين على أنفسهم أشرعة الأمل..!
- إلى كل الباكين المتوجعين المتأوهين..!
- إلى من لا نجد في جعبتهم إلا النحيب والعويل..!
- إلى كل المستسلمين إلى شعارات الذل، والمهانة، والعجز، والانكسار، والمتعذرين بالأوهام، والمرتدين ثوب الحداد لا ينزعونه..!
- إلى كل مطأطئ لرأسه، ومغمض لعينه، وراكن إلى الواقع المرير..!
- إلى من وجد الإحباط إلى قلوبهم طريقه فخارت عزائمهم، وذبلت إرادتهم، وانهار بنيان هممهم..!
- إلى كل هؤلاء أقول ما قاله أحد العلماء إلى تلاميذه، وكتبه على الجدار الذي يجلسون عنده:-

(لا تمضـوا فـي طريـق اليأس ففـي الكـون آمـال)

(ولا تتجهـوا نحـو الظلـمات ففـي الكـون شمـوس)

فإن قال قائل: «كيف نفعل وليس حولنا إلا ظلام دامس غابت الشمس عنه منذ قرون، أما الطريق فمفروش بالدماء، والأشلاء محفوف بالمحن، والابتلاء يدوي في جنباته العويل، والنحيب.

فالقدس مسلوبة، والأمة ممزقة، والمذابح الوحشية تلاحق المسلمين في كل مكان وفي كل بقعة من بقاع الأرض، وتكالب الأعداء علينا، والجوع والفقر والمرض يحاصرنا؟»

كم يفتكون بنا والصمت يلجمنا
فلا تثور على جزارها الغنم
كأننا زبد والبحر يقذفه
والشط يأنفه والحل والحرم
كأننا قصعات طاب مأكلها
وقد تداعت إلى أصنافها الأمم
من نصف قرن وهم جوعى ونحن لهم
ذاك الثريد فلا يرضى لهم نهم

أقول له: «نعم؛ برغم كل هذا أقول:

ابتسم وارفع رأسك ففي الكون آمال وشموس

فأنت تملك أن تغيّر هذا الواقع المرير، وليس هذا جنونًا، أو دربًا من الهذيان، فلقد فعلها قبلك رجل واحد.. نعم، رجلٌ واحدٌ استطاع أن يغيّر مجرى التاريخ، ويعيد المجد الضائع، ويرفع الأذان على أرض كادت تغرب عنها شمس الإسلام.

رجل واحد لكنه كان رجلًا.. وشتان ما بين الجنس، والصفة فآه لو جاد عصرنا بمثله..!

ما أحوجنا إلى مثلك يا فارس الأندلس.. ما أحوجنا إلى رجل يفتح على قلوبنا مغالقها، ويكسر شوكة الأعداء..!

هذي السماء فأين صقرها، فقد غصت الأرض بالبغاث..!

أيها الصقر... لقد اشتاقت إليك السماء... باتت من بعدك خاوية يغزوها البوم، والغربان فمن يحمي حماها، ويذود عنها البغاث؟!!

مسابق الزمان

وفي دار الحديث لطيف معنـــى   علـــى بســـط له أصبـــو وآوي
عسى أني أمس بحر وجهـــي   مكـــانـًـا مســه قـــدم النوواي

هكذا كان يردد الإمام «السبكي» بعد موت «النووي» حين يخرج إلى دار الحديث الأشرفية التي كان يدرس فيها «النووي»، فيمرغ وجهه على البساط الذي كان النووي يجلس عليه وقت الدرس، ويردد هذه الأبيات.

فمن كان هذا الرجل الذي تمنى الإمام «السبكي» أن يمسّ وجهه مكانًا مسته قدماه من قبل؟!

هو «أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف الحراني **النووي** الشافعي»، علامة بالفقه، والحديث، مولده ووفاته في «نواه» من قرى حوران بسورية ولد سنة ٦٣١هـ.

قال عنه الذهبي (والذهبي ذهبي الكلام): «ضرب به المثل في انكبابه على طلب العلم ليلًا ونهارًا، وهجره النوم إلا عن غلبة، وضبط أوقاته بلزم الدرس، والكتابة، أو المطالعة، أو التردد على الشيوخ»

ولنستمع إلى النووي يحكي عن نفسه: -

قال لتلميذه ابن العطار: «لما كان عمري تسعة عشر سنة قدم بي والدي إلى دمشق في سنة تسع وأربعين فسكنت المدرسة الرواحية، وبقيت نحو سنتين لم أضع جنبي إلى الأرض، وكانت قوتي فيها جراية المدرسة لا غير، وحفظت كتاب «التنبيه» في نحو أربعة أشهر ونصف، وحفظت ربع العبادات من «المهذب» للشيرازي في باقي السنة».

وسأله «البدر بن جماعة» عن نومه فقال: «إذا غلبني النوم استندت إلى الكتب لحظة ثم أنتبه».

وقال البدر: «كنت إذا أتيته أزوره يضع الكتب على بعض ليوسع لي مكانًا أجلس فيه».

وذكر تلميذه ابن العطار في كتابه «تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين».. قال: «ذكر لي -رحمه الله- أنه كان لا يضيع له وقت في ليل ولا نهار إلا في وظيفة الاشتغال بالعلم حتى في ذهابه إلى الطرق، ومجيئه يشتغل في تكرار محفوظة، أو مطالعة، وأنه بقي على التحصيل على هذا الوجه نحو ستّ سنين، ثم إنه اشتغل بالتصنيف، والإشغال،

والإفادة، والمناصحة للمسلمين وولاتهم مع ما هو عليه من المجاهدة لنفسه، والعمل بدقائق الفقه والاجتهاد».

وقال تلميذه ابن عطاء (في ترجمته): «وذكر لي الشيخ -رحمه الله- قال كنت أقرأ كل يوم اثني عشر درسًا على المشايخ شرحًا، وتصحيحًا؛ درسين في الوسيط، ودرسًا في المهذب، ودرسًا في الجمع بين الصحيحين، ودرسًا في صحيح مسلم، ودرسًا في اللمع لابن جني في النحو، ودرسًا في إصلاح المنطق لابن السكيت، ودرسًا في اللغة، ودرسًا في التصريف، ودرسًا في أصول الفقه تارة في اللمع لأبي إسحاق، وتارة في المنتخب لفخر الدين الرازي، ودرسًا في أسماء الرجال، ودرسًا في أصول الدين».

قال: «وكنت أعلق جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل، ووضوح عبارة، وضبط لغة، وبارك الله لي في وقتي، واشتغالي، وأعانني عليه».

وفي هذا يقول الشيخ عبد الغني الدقر: في كتابه (الإمام النووي): «اثني عشر درسًا يقرؤها على المشايخ كل يوم شرحًا، وتصحيحًا، ويعلق على ما يتعلق بها شرحًا مشكلًا، وإيضاح عبارة، وضبط عبارة، وضبط لغة تحتاج كل يوم إلى اثني عشر ساعة على أقل تقدير، ونحتاج

إلى مراجعة ما يجب أن يراجع، وحفظ ما يجب أن يحفظ بأدنى تقدير إلى اثنتي عشرة ساعة، هذه أربع وعشرون ساعة فمتى ينام؟! ومتى يأكل؟! ومتى يقوم بعبادته؟! ومتى يتهجّد في ليله؟! ومعروف أنه سبّاق إلى الطاعات، والعبادات.. متى يكون هذا كله وهو محتاج إلى دراسة ومراجعة ٢٤ ساعة في اليوم والليلة؟!

ونحن أيضًا نتساءل مع الشيخ عبد الغني الدقر، وترتسم أمام أعيننا علامات استفهام، وتعجّب لا حصر لها... فأي رجل كان...

لا عجب إذا أن يمرّغ «السبكي» وجهه على البساط الذي كان يجلس عليه «النووي».. أما نحن فلو مرّغنا أنوفنا في تراب نعله ما بلغنا ما بلغ، ولله دَرُّ القائل في رثاء «النووي»:

وكنت في سُنّة المختار مجتهدًا

وأنت باليمن والتوفيق مشتملُ

عزفت عن شهوات ما لعزم فتى

بها سواك إذا عنت له قبلُ

أسهرت في العلم عينًا لم تذق سنة

إلا وأنت به في الحلم مشتغلُ

وكم تواضعت عن فضل وعن شرف

بهمـة هـامـة الجوزاء تنتعـلُ

مصنفاته

صـنف -رحمـه الله- كتابًـا في الحـديث، والفقـه انتـشر في أقطـار الأرض ذكر منها (المنهاج في شرح صحيح مسلم)، (الإشارات إلى بيان الأسماء المبهمات)، (رياض الصالحين)، (الأربعين النووية)، (التيسير في مختـصر الإرشـاد في علـوم الحـديث)، (الإرشـاد)، (التحريـر في ألفـاظ التنبيه)، (العمدة في تصحيح التنبيه)، (الإيضاح في المناسـك)، (الإيجـاز في المناسك)، (التبيان في آداب حملة القرآن)، (مسألة الغنيمة)، (القيام)، (كتاب الفتـاوى)، (الرضـوى في مختـصر الروضـة)، (المجمـوع في شرح المهذب).

والعجيـب أنـه أمـر تلميـذه ابـن العطـار بغـسل نحـو ألـف كـراس بخطه؛ فكم كتب وأبقى لنفسه؟!

ما المفاجأة

إنـه تـوفي سـنة ٦٧٦هـ عـن عمـر لم يجـاوز ٤٥ سـنة أليـست هـذه مفاجأة بعدما قرأنا عن هذا الكمّ من تصانيفه..سبحان الله!!

صبا للعلم صبا في صبا فأعل بهمة الصب الصبي
وأتقن والشباب له لباس أدلة مالك والشافعي

رحم الله من قال في النووي:

قد كنت كاسمك محيي الدين مجتهدًا
ومن دعائك نال النصر فرسان

عزيزي القارئ

الإنسان العاقل هو الذي يقود عجلة زمانه، ولا يجعلها تقوده، فإذا ما باتت نهايته قريبة، وقد رأى آخر الطريق، رحل هادئًا مطمئنًا واثقًا، فقد جد واجتهد، ولم يضيِّعْ أوقاته دونما منفعة، فقد حان وقت الثواب والأجر.

فتشبّهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

نجاحٌ من رحم الفشل

تنبأ له معلمه بالفشل رغم ثنائه على أدبه، ووداعته، فلم يكن معلمه يرى فيه فطنة العقل، ولا رجاحة الفكر، ولا وقدة الذكاء، لم يكن هناك مؤشّر من قريب أو من بعيد يشير إلى نجاحه أو تميّزه، كان معلمه يقول له : «**ولد وديع رقيق، ولكنه بعيد كل البعد عن الذكاء**».

كان أبوه دبَّاغًا فقيرًا، ولكنه طلب العلم لابنه رغم رقّة حاله، ولكن المرض داهم ابنه فعاد الابن أدراجه إلى بيت أبيه الصغير، وبعد أن استرد صحته، وقوته استأنف مسيرة التحصيل، وعاد إلى معلّمه يسأله، ويلح عليه في السؤال، وبعد أن ضيّق الفتى الخناق على معلمه بأسئلته صاح فيه المعلم زاجرًا: «أضجرتني... أضجرتني لا تلح، لا تسأل، واجبك كتلميذ أن تجيب».

ولكن هذا التلميذ رغم تنبؤ معلمه له بالفشل، ورغم سخرية زملائه منه وضحكهم عليه رأى أنه يستطيع أن يشقّ لنفسه وسط هذا الضباب طريقًا للنور، وقال: «أهم كلمات هي ثلاث؛ الإرادة – الصبر – العمل، إنها حجارة الزاوية، وسأقيم عليها بنائي في الحياة».

وتقدمت به السن فأصبح رجلًا فرضت عليه رجولته احتمال الصعاب والصبر على العذاب، وقد لسعته عقارب الجوع فيما هو جاد في تحصيل العلم، وذكر هذا في يوميّاته فقال: «الجوع يضورني، والصداع يقتتل في رأسي، ولكن الجوع ينسيني الألم، والألم ينسيني الجوع».

وبإرادة مثل الفولاذ مضى يخترق جبالًا من الصعاب، وبإرادة مشى قدمًا، وأثبت ما عزمت عليه نفسه بقوله: «لا أتردد عن التضحية بنفسي إن دعاني إلى ذلك داعي الواجب الذي أشعر به يتكوّن، ويتجسّد».

وتشهده الأيام ينكبّ على أبحاثه الكيميائية، ويستغرق في اختباراته وتجاربه، حتى إنه في يوم زواجه تجمّع الناس، وانتظروه، وانتظرته عروسه فتأخّر الزوج، وأسرع صديق له إلى بيته فوجده عاكفًا على عمله غارقًا بين أنابيبه، وقواريره فصاح في غضب: «ويك أتنسى أنك اليوم تتزوج» قال: كلا، كلا.

فقال له صديقه: فماذا تفعل هنا إذا والناس تنتظر والعروس تنتظر؟!

أجاب: «ماذا أفعل أتتوقع أن أترك عملًا في نصفه؟!»

وصادفه الفشل في أبحاثه، كثيرًا ما قضى الأيام، والليالي يبحث، وكثيرًا ما ذهب تعبه سدى، ولكنه لم ييأس، بل تضاعفت حماسته، واشتدت عزيمته، وكانت إرادته دائمًا في عنفوانها استخدم العلم ليرقى بالإنسانية، استخدم العلم لينقذ الإنسانية.

وتوّج حياته باكتشافاته العظيمة، وأهمها «**التعقيم والتطعيم ضد الأمراض، والتحصين ضد الأوبئة**»، وأنقذ الملايين من الأمراض المعدية والفتّاكة، واستخرج مصل التطعيم ضد داء الكلب، وسخر العلم لخدمة البشرية، ولمنفعة الإنسان.

وخرج «ابن الدباغ» الفقير الذي تنبأ له معلمه بالفشل ليقول للعالم مقالته الرائعة التي سجلها التاريخ وهي خلاصة تجربته في الحياة وصراعه مع العلم: «بالإرادة نفتح مصاريع الأبواب، بالإرادة نفتح باب العمل الناجح، ونعبر في رحلة طويلة تتطلب الصبر، والإيمان، ولن نعدم أن نصل إلى النجاح».

وهـذه المقولـة -عزيـزي الراغـب في الوصـول إلى القمـة- هـي خلاصة هذه القصة، وهي المستفاد منها جاءت على لسان بطل القصة العالم فذ الإرادة (**لويس باستير**).

في قلب الغربة

«**أوساهير**» شاب ياباني تفوّق على أقرانه في المرحلة الثانوية، وكان الأوَّلَ في اليابان فأعطاه الإمبراطور مكافأة، ومنحة لدراسة الهندسة في ألمانيا، وكان «أوساهير» من الساموراي المخدومين، فنشأ وتربى على أنه عرقٌ سامي يجب أن يخدمه الغير، ولا يخدم نفسه فكانت الغربة إلى ألمانيا بالنسبة له تجربة صعبة، ولكن «أوساهير» كان له هدف آخر، فعندما وضع أول قدم له في ألمانيا قرر أن يدرس صناعة (**المحرّك، أو الموتور**) الذي كان هو حجر الأساس للثورة الصناعية، وأخذ على عاتقه ألا يعود إلى اليابان إلا بعد أن يتقن صناعة المحرك، وحين ذهب إلى الجامعة طلب من أستاذه أن يعلمه صناعة الموتور فضحك الأستاذ الجامعي، وسخر منه وقال له: «**هل تظن أن بدراستك للهندسة في ألمانيا سوف تتعلم كيفية صناعة الموتور، إن هذا الحلم بعيد المنال فلا تحدثني مرة أخرى في هذا الأمر، وعليك بمذاكرة ما تدرس من الهندسة، وإلا فعُد من حيث أتيت**».

هنا علم «أوساهير» أن دراسته للهندسة بألمانيا لن تحقق له ما جاء من أجله، ولكنه لم يستسلم لفكرة العودة، فلا بد من إنجاز ما جاء لينجزه.

فاشترى بمكافأة التفوق التي منحها له الإمبراطور موتورًا، وحين حمل الموتور بين يديه شعر بسعادة عجيبة، وعاد به إلى المنزل، وأخذ يناجيه، ويحدثه، ويدور حوله، ويسأله (كيف أكتشفك؟.. كيف يقومون بصناعتك؟) وفكّر «أوساهير» أن يبدأ من النهاية فماذا فعل؟!

لقد قام بتفكيك الموتور جزءًا جزءًا، ورسم له خريطة، فكان كلّما فك مسمارًا أعطاه رقمًا، وكلما فكك سلكًا أعطاه رقمًا، وكلما قام بخطوة رسمها على الخارطة، وبعد أن قام بتفكيك الموتور خطوة خطوة، وكتب، ورسم كل الخطوات، أخذ يقوم بإعادة تركيبه مرة أخرى معتمدًا على الخارطة التي رسمها حتى ركّبه مرة أخرى، وقام بتشغيله، وسمع صوته فكان كأجمل سيمفونية سمعها «أوساهير» في حياته، فكان كلّما عاد من الجامعة أخذ يعيد فك الموتور، وتركيبه، وتشغيله حتى حفظه جزءًا جزءًا؛ وفي يوم من الأيام فسد أحد المواتير بالجامعة فطلب «أوساهير» من أستاذه أن يصلحه فتعجب أستاذه، وقال له كيف لك أن

تعرف العيب، وتصلحه، وأنت لا تعرف كيفية تركيب الموتور؟! فألحَّ «أوساهير» على أستاذه فسمح له فحمل «أوساهير» الموتور، وعاد به إلى المنزل، وقام بتفكيكه فوجد ثلاثة صواميل غير صالحة فقام بإصلاح العطل، وأعاد الموتور إلى الجامعة.

ولكن طموح «أوساهير» لم يقف عند هذا الحد فقد أراد أن ينتقل إلى الخطوة التالية، وهي صناعة الموتور؛ فذهب إلى ورشة خراطة، وطلب من صاحبها أن يعمل لديه في الخراطة فاشترط عليه الخرّاط أن يقوم «أوساهير» بخدمته مقابل أن يقبله في الورشة، وبالرغم من أن «أوساهير» كان من الساموراي الذين لا يسمح لهم بخدمة أحد فقد قَبِل هذا الشرط في سبيل تحقيق غايته الأسمى. وعمل «أوساهير» في خدمة الخرّاط ٨ سنوات حتى تمكّن تماما من معرفة كيفية تصنيع الموتور، وأنهى دراسته.

وحين عاد إلى اليابان رفض مقابلة الإمبراطور إلا بعد ثلاث سنوات من عودته، كان في هذه الأثناء قد تمكن من صناعة ١٥ موتورًا كتب عليها جميعًا (صنع في اليابان)، وكان له الفضل في نهضة اليابان، وتقدّمها.

عزيزي القارئ

كان لـ«أوساهير» رؤية وحلم حين ترك بلاده وسافر لدراسة الهندسة في ألمانيا، فقد كان يحلم أن تصبح اليابان في صدارة الدول المصنّعة على مستوى العالم، وأن لا تظل تستورد الصناعة من الدول الأخرى، وآمن أنه لا تقدم ولا استقلال لبلده استقلالًا حقيقيًا إلا حين يستطيع أبناؤها الاستغناء عن استيراد التكنولوجيا والتطوّر، وإنما على أبناء الوطن أن يكونوا هم صُنّاع هذه التكنولوجيا، وأن يصدّروها هم إلى العالم، وبهذا كان «أوساهير» واحدًا من أصحاب القمّة الذي على يديه أصبحت اليابان الآن هي اليابان التي نعرفها.

فيا عزيزي اجعل لنفسك حُلمًا، واجعل من أجل وطنك رؤية واسْعَ لتحقيقها بالعلم، والعمل، والمثابرة، واعلم أنه كلّما عظم الهدف وسَمَا الحلم، عَظُم صاحبهما وسَمَا، ولعل على يديك تتحقق أحلام الأمة، وتصبح أنت يوسف أحلامها.

فارس الإرادة

«خالد حسان» شاب مصري يحب السباحة، ويتمتع بلياقة رياضية عالية، وفي حادث سيارة كاد يودي بحياته أفاق خالد ليجد قدميه مبتورتين، ويجد نفسه عاجزًا عن الحركة!

لكن «خالد حسان» لم يستسلم، وقرر مزاولة أصعب رياضة يمكن أن يمارسها مبتور القدمين؛ وهي السباحة، وظل يتدرب طويلًا ولم يكن الأمر سهلًا، وعانى كثيرًا، لكنه تسلّح بسلاح الإيمان، والثقة في الله أولًا، ثم ثقته في نفسه أنه يستطيع أن يفعل ما يفعله الأصحاء، وفي يوم من الأيام كانت ثقته في نفسه في أعلى معدلاتها قرر خالد أن يدخل مسابقة «**المانش**»، وأن يعبر «**بحر المانش**»!

ولم يكن هذا في رأي كل من حوله شيئًا مقبولًا، فقد اعترض الجميع: الوالد، والأسرة، بل ومدرّبه نفسه، وقد خاف الجميع عليه من عبور بحر المانش لأن الكثير من أبطال السباحة في العالم يعجزون عن عبوره وهم أصحاء فكيف يعبره هو خاصة أن **بحر المانش الذي يقع بين انجلترا وفرنسا يبلغ عرضه ٣٠ كيلومترًا! ودرجة حرارة الماء فيه**

(٣.٥- ٤) درجة مئوية! والأخطر من كل ذلك أن التيارات المائية فيه عكسية، والشواطئ فيه زلطية!!

لكن كل ذلك لم يثنِ «خالد حسان» عما اعتزمه من دخول المسابقة، وعبور بحر المانش، وشعر أنه يستطيع أن يفعل ذلك، ومع التدريب المستمر ليل نهار كان يزداد تفاؤلا، وحان موعد المسابقة، وسافر «خالد حسان»، وفوجئ الجميع بهذا السباح القادم من مصر للمشاركة في المسابقة، واندهشوا جميعًا عندما رأوه أبتر القدمين، لكنه لم يعبأ بهم، وظل ثابت الجأش وهو يرى أمام عينيه أبطال العالم في السباحة، وكل منهم يتمتع بلياقة عالية، ولكن القدر كان يخبئ في طياته لـ«خالد» مفاجأة أخرى!!

فقبل موعد المسابقة بثلاثة أيام أصيب «خالد» بخرَّاج في أذنه، والأذن بها قناة التوازن التي هي أهم ما يحتاجه السبّاح كما أن الخرَّاج رفع درجة حرارته كثيرا، وهنا قرر المدرب ألا يدخل «خالد» المسابقة، ولكن «خالد» رفض التراجع، وأصرّ على دخول المسابقة، وطلب من الطبيب أن يعطيه علاجًا مكثفًا، فكان يضاعف له المضادات الحيوية،

ويعطيه أقوى الأنواع حتى يستطيع أن يتعافى في موعد المسابقة، وتعافى «خالد» بالفعل، ودخل المسابقة وكانت **المفاجأة!!**

(خالد حسان) المصري استطاع عبور بحر المانش عن الأصحاء، وقطع المسافة في **١٢ ساعة و٣٩ دقيقة**، وأصبح بطلًا عالميًّا في السباحة، ولأن الثقة في النفس لا تقف عند حد معين فقد سمع البطل العالمي والسباح المعجزة عن مسابقة **(بحيرة الرياح)** وهي بحيرة مخيفة يخشاها أمهر السباحين في العالم، وتعد المشاركة في مسابقة عبورها بمثابة انتحار، ومجازفة خطيرة، ولا يدخلها إلا قلة قليلة من عمالقة السباحة في العالم، ولعظم خطورة هذه البحيرة فقد تدخل **الملك «تشارلز» ملك بريطانيا** في ذلك الوقت، وطلب من «خالد» عدم دخول المسابقة، ولكن مع إصرار «خالد» وافق الملك له أن يعبرها، ولكن على أنه من الهواة، وليس من المشاركين في المسابقة، وعبرها «خالد» بالفعل، وحقق المعجزة الثانية، فكافأه الملك «تشارلز» وأعطاه هدية قيّمة.

عزيزي القارئ

لا توجد مواقف ميئوس منها في الحياة، ولكن هناك فقط أناس شبُّوا على اليأس من هذه المواقف.

الجميع يبحث عن النجاح، وعن التفوّق، والتميّز ولكن صاحب الثقة بالنفس هو من يتحدّى الصعاب التي تواجهه، وتحول بينه وبين تحقيق حلم النجاح، فالثقة في النفس تبعث في صاحبها روح التحدي، وتجعله كلّما واجهته الصعاب يحطّمها، فإن كانت أكبر من ذلك يترفع عنها، فإن لم يستطع يسخر منها، الأهم عنده أنه لا يقف عندها بل يتجاوزها، والنجاح قرار الشخص نفسه، هو من يقرر أن ينجح، أو يفشل حتى وإن حاول الآخرون زرع الفشل بداخل الشخص هنا تبرز الثقة في النفس لتدفع الشخص ليقول بصوت عالٍ (**أنا أستحق النجاح**)، وطالما آمن الإنسان باستحقاقه للنجاح فسوف يحصل عليه مع بذل الجهد، والطاقة للحصول على هذا النجاح، وقد أجمع علماء النفس على أن طاقة الإنسان المستغلة لا تزيد عن ٢٠٪ من طاقته الحقيقية، فمع بذل الجهد، والتخطيط السليم سيصل الإنسان إلى النجاح، وإلى تطوير ذاته، وعدم القناعة بالواقع المحيط

جوان كاثلين رولنغ

هل سمعت بهذا الاسم من قبل؟ قد يبدو الاسم غريبًا، لكنك بالتأكيد تعرف أحد أشهر أعمالها (هاري بوتر) تلك القصة الخيالية التي حققت مبيعات مهولة، جعلت من صاحبتها أول مليارديرة عن طريق التأليف حسب ما أوردت مجلة «فوربس» المهتمة بعالم المال، في عام ٢٠٠٧ أصدرت جوان الجزء السابع من روايتها، فأصيب العالم يوم صدور الكتاب بشلل تام، ووقف قرّاؤها بالملايين من كل أرجاء المعمورة في انتظار ساعة طرح الكتاب للجمهور، ولقد بيع منها في الولايات المتحدة فقط في هذا اليوم **١٢ مليون نسخة!! فمن هي هذه المرأة، وكيف كانت بدايتها؟!!**

هي امرأة إنجليزية عملت فترة في انجلترا، ثم سافرت إلى فرنسا، ثم إلى البرتغال حيث كانت تعمل معلّمة في إحدى المدارس، وهناك تقابلت مع زوجها، وأنجبت منه طفلة سمّتها «**جيسيكا**»، وبعد سنوات طلّقها زوجها، وحدث بينهما شجارٌ عنيف، ومتكرر دفعها إلى الالتجاء للسفارة الإنجليزية طلبًا للحماية من زوجها.

عادت «**رولنغ**» إلى بريطانيا، وهناك فجعت بموت أمها، الأمر الذي أثَّر كثيرًا على حالتها النفسية فعاشت حالة من الإحباط الشديد، وأقامت في تلك الفترة مع أختها في منزلها بأدنبرة.

وفي ١٩٩٥م -أي في الثلاثين من عمرها- بدأت «رولنغ» في كتابة مغامرات الصبي الساحر هاري بوتر الذي تجلّى لها أثناء رحلة في القطار، فكانت تحلم وهي في القطار بأبطال خياليين يجسدون شيئًا من أحلامها، وأمانيها الطفولية، وفي ذلك الوقت كانت «**رولنغ**» تعيش على نفقة الدولة عاطلة عن العمل، بل لقد كتبت معظم فصول قصتها على المقاهي كما قالت هي في مقابلة تلفزيونية، وحين انتهت من فصول روايتها دفعت بها إلى أكثر من ناشر فرفضوا نشر الكتاب حتى بلغ عدد الرافضين لها ١٢ دار نشر، ولم تيأس جوان، وواصلت البحث إلى أن وجدت ناشرًا صغيرًا فوافق على مُضض أن ينشر الكتاب، ومن المضحك أن الذي ضغط على الناشر لنشر الكتاب هو ابنته ذات الثمانية أعوام، والتي قرأت الرواية وأعجبت بها جدًّا!!

بيد أن الناشر طلب منها طلبًا غريبًا وهو أن يكتب الحروف الأولى من اسمها فقط حتى لا يعرف القارئ أن كاتب هذه القصة امرأة، وذلك لاعتقاده أن القراء سينفرون من قراءة كتاب أطفال كتبته امرأة!! فوافقت «جوان» على طلب الناشر فأصبح الكتاب جاهزًا كي يطرح في الأسواق.

وبالفعل طُرحت الرواية في الأسواق بدون دعاية مسبقة، لكنها رغم ذلك نجحت نجاحًا كبيرًا ومبهرًا، وكانت بداية الشهرة والنجاح حيث توالت الكتب، وحقق كل واحد منها أرقامًا مذهلة تزيد عن سابقه، وأخرجت أربعة أفلام من السلسلة ذات الكتب السبعة فتكونت إمبراطورية «**هاري بوتر**» الضخمة، ويعتقد أن كتب هاري بوتر قد بيع منها أكثر من ٤٠٠ مليون نسخة حول العالم، وأصبحت «رولنغ» ثرية فتزوجت من جديد، وأنجبت طفلًا آخر، وصارت واحدة من أكثر الشخصيات تأثيرًا ونفوذًا، بل إن صحيفة «**صن داي تايمز**» الأميركية صنفتها في المرتبة الـ ١٣٦ على لائحة أثريا العالم، والـ ١٣ في لائحة أثرى نساء بريطانيا، وفي عام ٢٠٠١م اشترت قصرًا فاخرًا تعود هندسته إلى القرن التاسع عشر، ويقع على ضفاف نهر تاي قرب ابيرفلدي في اسكتلندا كما تملك رولنغ أيضًا منزلًا يضم ١٣ غرفة نوم في ميرشيستون في ادينبرغ، وبيتًا في كينسنغتون غرب لندن بـ ٨ مليون دولار، وفي عام ٢٠٠٦ أفادت مجلة فوربس الأميركية أن رولنغ هي أغنى امرأة في العالم، وصنفتها في المرتبة ٤٨ على لائحة أكثر المشاهير تأثيرًا لعام ٢٠٠٧م.

عزيزي القارئ

كل هذا بفضل حلم جاءها في قطار حولته بموهبة فذة إلى سلسلة ناجحة بمختلف المقاييس.

لتتحول من امرأة عاطلة مطلقة تلاحقها الأزمات، والمشكلات النفسية، والمادية إلى ظاهرة يعجز الكثيرون عن تحليلها.

وأخيرا

- حلّق في سماء نفسك، وارسم لنفسك مساراتٍ تقود خطاك حتى تنجو بنفسك من متاهات هذا الزمان.
- ارسم أجمل الصور، ولوّنها بأبهى الألوان، واحلم بما شئت، فإن أحلامك هذه ستكون الدافع المحّفز الذي يحثك على مواصلة المسير كلّما لاقتك عقبة، وبات تحقيق الحلم مستحيلاً، وستكون أحلامك أيضًا أشبه ما تكون بدفتر المذكرات، تعود إليه بين الفينة والفينة، لتستجمع قواك، وتجدد العهد على مواصلة المسير.
- حتى ولو لم تستطع تحقيق الحلم الذي قد حلمت به، فإنك لن تخسر الكثير، بل إن الخبرات التي اكتسبتها في مشوار أحلامك الأولى ستساعدك في بدء حلمٍ جديد، وتفادي العثرات التي لاقيتها في ذلك المشوار .

- دبلومة في البرمجة اللغوية العصبية – المركز العالمي للبرمجة اللغوية العصبية (ICNLP).
- إدارة الجودة في مجال الرعاية الصحية – الجمعية العالمية للرعاية الصحية.
- مبادئ الإدارة – ستيفن كوفي.
- إدارة العقل – البورد الأميركي & المركز العالمي للبرمجة اللغوية العصبية (ICNLP).
- فن الإدارة – المركز الكندي – د/ إبراهيم الفقي.
- فن بناء الفريق – لوجيك – للتنمية البشرية.
- قوة الذاكرة، والتذكر & التفكير الإبداعي – مجموعة زدني للتنمية البشرية.
- فن ومهارات الاتصال & إدارة الوقت – مجموعة زدني للتنمية البشرية.
- دبلومة في التسويق الاستراتيجي – المركز الكندي – د/ إبراهيم الفقي.
- دبلومة في فن المبيعات، وخدمة العملاء – المركز الكندي – د/ إبراهيم الفقي.

Email:
nahidaldeeb@hotmail.com//nahidaldeeb@yahoo.com

المؤلفة في سطور

د/ ناهد إسماعيل الديب

- مدرس مساعد بقسم تمريض القلب، والحالات الحرجة – قصر العيني– جامعة القاهرة.
- شاعرة، وأديبة، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- مدرّب معتمد التنمية البشرية من البورد الأميركي و ICNLP والمركز الكندي د/ إبراهيم الفقي.
- عضو جمعية بناة المستقبل للتنمية البشرية.
- محفظة للقرآن الكريم بدار الحصري.
- أصغر فائز بدرع النقابة على مستوى الجمهورية.
- حاصلة على جائزة جامعة القاهرة الثقافية.
- مسؤولة الملف الأدبي بمجلة النقابة.
- عضو فريق الجودة الصحية بالقصر العيني.

الشهادات الحاصلة عليها

- ماجستير تمريض القلب، والحالات الحرجة بدرجة الامتياز مع مرتبة الشرف.
- إجازة في القرآن الكريم من الأزهر الشريف.
- المركز الأول في إجادة اللغة الإنجليزية من مركز اللغات الأجنبية، والترجمة الفورية – جامعة القاهرة & التويفل – الأميدست.

الفهرس